بناء الشخصية في القصة القرآنية
دراسة نفسية

ا.م.د.عبد الوهاب الشيخ حمد
كلية التربية- طارمية/ قسم علوم القرآن

Personal building in story the Quranic
Psychological study

A. M. Dr. Abdul Wahab Sheikh Hamad
College of Education - Tarmah Science Department Quran

hالمقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

فإن المتدبر للقرآن الكريم لا ينفك متأملا آيات الله تعالى، وملتمسا جواهر معانيه، فعجائبه لا تنقضي ومداد أبحره لا ينفد وكيف لا وهو كلام الله العزيز الحكيم، ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[الكهف: ١٠٩]، وقال تعالى في آية أخرى:﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧]، ومن يقرأ القرآن بتدبر يجد للقرآن حلاوة لا نظير لها، ولاسيما في قصصه، فقد جاءت هذه القصص لأغراض كثيرة يصعب حصرها في جميع القرآن، منها إثبات وحدانية الله تعالى وتصديق رسله وصحة منهجه، وبيان عاقبة الخير والشر، والشكر والبطر وغير ذلك مما تعرضت له القصة القرآنية وكانت من أهم وسائله. فالقرآن الكريم كتاب هداية، ولما كان كذلك نجد فيه وسائل كثيرة في الدعوة إلى الله، ومن هذه الوسائل القصة القرآنية.

إن بحثنا في هذا الموضوع لن يكون على طريقة سرد القصة القرآنية فقط وكأنها سيقت للتسلية، وإنما على تحليل الشخصية التي تمثل القصة، سواء كانت مؤمنة أو كافرة، من خلال الصفات التي تتمتع بها والميول والغرائز والحاجات وغير ذلك، ثم من خلال مناقلة الحوار الذي يكشف عن بواطن النفس.

إن جوهر بناء الشخصية في القرآن الكريم مرتبط بغاية واحدة وهي إقامة خلافة الله في الأرض وهي الغاية الأجمع للغايات المتفرقة في وحدة الدين وتوحيد الإله والعمل

بمقتضى الرسالة[١].

إن شخصية النبي ﷺ وشخصية المؤمن تتفق في البناء العقدي والنفسي وتتباينان في جانب العصمة، إذ لم تثبت لغير الأنبياء، وفي القصص القرآني شخصيات مؤمنة كثيرة، اخترت منها قصة العبد الصالح مع موسى عليه السلام وتحليل هذا النموذج للشخصية المؤمنة من الرجال.

واخترت شخصية الكافر (قارون) في القصة القرآنية، إذ يفسح في قصصه مجالا لهذه النماذج من خصوم الحق ودعاة الباطل والفتنة والضلال، إنما يكشف عن انحراف شخصياتهم بفساد بنائها الفكري والنفسي، واختلال توازنها السلوكي.

لقد اقتضت منهجية البحث أن يكون على مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة.

أما المبحث الأول: فاشتمل على المعنى اللغوي للقصة وأغراضها وما يتعلق بها

وأما المبحث الثاني فتضمن بناء الشخصية الإنسانية ومفهومها عند بعض من علماء النفس.

أما المبحث الثالث فاشتمل على الشخصية في القصة القرآنية وأقسامها ونماذج منها.

أما المبحث الرابع فكان عن بناء الشخصية عند المؤمنين.

بقي المبحث الخامس والأخير وتضمن بناء الشخصية عند الكافرين، ثم قفيت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي وصلت إليها.

وأخيرا الله اسأل أن يجعل صالح ما كتبت في صحيفة أعمالنا انه سميع قريب مجيب...

المبحث الأول
القصة في القرآن

المعنى اللغوي للقصص.

حين ننظر إلى المعنى اللغوي للقصة نجد أن أصل اشتقاقها يتلاقى مع أصل التسمية للقصص القرآني؛ فالقصة مشتقة من القصص وهو تتبع الأثر واقتفائه، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص: ١١]، ومن هذا قولهم: (قص الأثر)؛ أي نظر إليه واقتفى آثاره وشواهده قال الشاعر:

قُلتَ في عينيهِ أفئدةٌ ... تُنَحِّي ما قص من أثره[٢]

يقال: قصصتُ أثره واقتصصته وتقصصته، وخرجت في أثر فلان قصصاً، قال عز وجل: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف: ٦٤]، ومنه: قص عليه الرؤيا والحديث، قال تعالى في سورة يوسف ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[يوسف: ٥]، فالقص للأثر أشبه بما يعرف الآن بتصوير البصمات، أو رفع الآثار وتصويرها؛ ليستدل على ما وراءها من أحداث مضت، والقصة في القرآن هي تتبع أحداثٍ ماضيةٍ واقعةٍ، يعرض فيها ما يمكن عرضه، ومن هنا جاءت تسمية الأخبار التي جاء بها القرآن قصصاً مما يدخل في المعنى العام لكلمة خبر أو نبأ؛ فقد استعمل القرآن الخبر والنبأ بمعنى التحدث عن الماضي، وإن كان قد فرق بينهما في المجال الذي استعملا فيه، ومن هذه التفرقة نتبين دقة ألفظ القرآن الكريم؛ جرياً على ما قام عليه نظمه من دقة وإحكام وإعجاز؛ فقد استعمل النبأ عن الأحداث البعيدة زماناً أو مكاناً في حين استعمل الخبر في الكشف عن الوقائع قريبة العهد والوقوع، أو التي لا تزال مشاهدتها قائمة للعيان(٣)؛ قال تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣]، نجد أن القصص القرآني من قبيل الأنباء أو الأخبار التي بعد الزمن بها، واندثرت أو كادت تندثر؛ ولهذا سماها القرآن (أنباء الغيب)، وعندما نمضي بالنظر في القصص القرآني نرى أنه يجيء بمادته من الماضي البعيد، دون أن يكون فيه شيء من واقع الحال أو من متوقعات المستقبل(٤).

القصة القرآنية

إن الحديث عن القصة الفنية يقودنا إلى فن قصصي متميز متره عن الخطأ متماسك العناصر يهدف إلى فكرة ومغزى أزلي، ألا وهو فن (القصة القرآنية) الفن في القصص القرآني يتمثل في طريقة التصوير، }فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة، عن المعنى الذهني، وعن الحالة النفسية التي لا تلمس وعن النماذج الإنسانية والطبيعية التي لا ترى فيحيل كل أولئك إلى مشاهد منظورة أو لوحات مجسمة شاخصة حاضرة(٥)، كما نجد في القصة القرآنية إيقاع وموسيقى تتراوح ما بين مجهور ومهموس، وشدة ورخاوة وكذا تفخيم وترقيق، أو موسيقى في أعلى طبقاتها الصوتية والكلامية واللفظية والروحية النفسية والوجدانية(٦).

وقد عرفت القصة القرآنية منذ نزول الوحي، فنجد مثلا قصة يوسف، ملكة سبأ، أهل

الكهف فضلا عن قصص الأنبياء والأمم السالفة. والقصة القرآنية تنزيل إلهي، وتقدير لحوادث وقعت فعلا من أهم أهدافها الوعظ والإرشاد وشرح القرآن، للوصول لغاية ذات غرض ديني بحت، جاءنا بلغة جمالية فنية راقية.

فالأداء الفني للقصص القرآني لا ينفي عنه هدفه الديني، }وليس كل من يحاول إثبات الملامح الفنية للقصة القرآني يعني أن القرآن كتاب فن قصصي، كله أوفي، بعضه، فالقرآن ليس غير، أنزله الله رحمة للناس ومنهجا لحياتهم{(٧).

ماهية القصة القرآنية.

تسمو القصة القرآنية لأنها قامت على أسس من الحقيقة المطلقة التي لا يعترضها وهم أو خيال إذا جاء في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١]. وهكذا يكون أساس القصة القرآنية الصدق، وذلك لما حوته من قيم الإيمان والخلق القويم وألوان الإبداع الإلهي في كل نواحيه فكان بحق أروع القصص التي تحرك القلوب والنفوس فتخشع وتبكي، وتوقظ مدارك العقل لتحقق في الأخير الإنسانية بأمر من الله عز وجل.

جماليات وحقيقة القصص القرآني.

إن القصص القرآني بوصفه أعظم المصادر وأوثقها في أيدي العرب لمنهج متميز في قص القصص باللغة العربية، تكفي للكشف عن الفارق الهائل بين القصص القرآني وقصص الشعوب واللغات الأخرى من الأساطير والروايات والمسرحيات، بلغ هذا الفارق حد مابين الجد والهزل وما بين الحق والكذب(٨)، فالفارق شاسع وفي جميع المجالات والمقاصد والأغراض ويتضح أن الغاية أن يكون ذلك القصص القرآني نفسه هادياً للمؤمنين إلى الطريق الصحيح، والصراط المستقيم. فالله تعالى يقول: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣]، ثم يقص الله تعالى قصة يوسف وأخوته؛ فالقصص الحسن هنا ليس الرواية المتخيلة من الواقع وليست الرواية المصنوعة بمحاكات الواقع، إنما هي التاريخ والخبر وحقيقة ما كان، إنه مشاهد التاريخ في حركةٍ وصورٍ وأصواتٍ، ونجد أن البطل الحقيقي في القصص القرآني ليس هذا الإنسان بذاته الذي تدور به أو من حوله أحداث الخبر؛ فالبطل هو القانون التاريخي المرتبط

بعقيدة الإنسان وأخلاقه وسلوكه، والبطل هو هذا القانون الذي تظهر نتائجه في أقوال وأفعال الإنسان المؤمن أو الكافر في الجماعة التي يعبر عنها أو التي يعارضها؛ فالبطل مثلاً ليس يعقوب عليه السلام وأولاده، إنما هو (الهداية) في يعقوب عليه السلام و(الحسد) في أولاده، والبطل أيضاً ليس يوسف عليه السلام وامرأة العزيز؛ بل هو (الطهارة والأمانة) في يوسف عليه السلام، و(الشهوة) في امرأة العزيز، وهكذا في مختلف المواقف يكون الإنسان بهداية الإيمان أو بضلالة الكفر رمزاً لقانون يحكم[٩].

إن الإنسان في قصص القرآن لم يكن شيئاً مذكوراً من أجل استعراض آلاف الاحتمالات المتخيلة لقوته أو لضعفه؛ بل هو إنسان مذكور داخل جماعته يحمل قيماً ومبادئ، ونرى أن الأسوة لغيره، وهو القدوة لمن يقتدي به؛ لأنه أعطى قانون البرهان العقلي[١٠].

مقاصد وأغراض القصص القرآني.

ليس ثمة حجة لإنكار أن في القصص القرآني توجيهات دينية لكل ما جاء به الإسلام من مبادئ وعقائد،ولكل ما أنكره الإسلام من خلق وعادات وآراء زائفة وعقائد وعادات باطلة،لكن مع كل هذا لا نستطيع عد هذه الأمور أغراضاً حين ندرس أغراض القصص القرآني؛ ذلك أن هذه الأمور كانت تأتي بين طيات هذه القصص وثناياها، وهي في هذا الوضع أو من هذا الجانب تشبه تماماً تلك الآراء والصور المنثورة التي تأتي أثناء العرض القصصي في كل قصة[١١].

الغرض هنا هو القصد الذي نزلت من أجله القصة القرآنية، وهو الذي من أجله بنيت على صورة خاصة وعرضت بأسلوب خاص، وإلى جانب هذه الأغراض نجد الوظيفة التي تؤديها القصة في المجتمع وتخدم بها الحياة والأحياء، وهي وظيفة تؤديها جميع الفنون من موسيقى ومسرح ونحت وتصوير ،هذه الوظيفة نستطيع عدها غرضاً عاماً للقصة أدته في المجتمع العربي على اختلاف ألوانه،وعلى ما فيه من مؤيدين ومعارضين[١٢]، ونورد فيما يلي أهم وأظهر هذه المقاصد:

١. أولها وأهمها من جهة نظر القرآن نفسه **تخفيف الضغط** على النبي ﷺ؛ فهذا الضغط كان قوياً وعنيفاً، وكانت أسبابه واضحة جلية؛ من كيدٍ للنبي والقرآن والدعوة للإسلام، وهذا أثر بطريقة مباشرة في نفس النبي، ودفعه إلى أن يضيق صدراً؛ فقد قال الله تعالى: ﴿

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ [الحجر: ٩٧]، وقال أيضاً: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣]، لقد كان لما يقوله أثر بالغٌ في نفس النبي ونفس أتباعه وقد قال الله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [يونس: ٩٤]، فإن كنت (يا محمد ﷺ) ﴿ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ من القصص فرضاً ﴿ فَسْـَٔلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَٰبَ ﴾ أي التوراة ﴿ مِن قَبْلِكَ ﴾ فإنه ثابت عندهم يخبرونك بصدقه، وقد قال قتادة بن دعامة بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: }**لا أشك ولا أسأل**{[١٣]، إن هذا الضغط لم يقف عند حده؛ بل تجاوز ذلك إلى ما هو أبعد مدى، قال الله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۝٤٨ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِالْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ [القلم: ٤٨– ٤٩]، وقال أيضاً: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [هود: ١٢]، ونجد أن القرآن صرح بهذا الغرض وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠].

نتبين من هذه الآية أن الغرض هو التثبيت للنبي ﷺ وموعظة وذكرى للمؤمنين[١٤].

٢. توجيه العواطف القوية الصادقة نحو عقائد الدين الإسلامي ومبادئه، ونحو التضحية بالنفس والنفيس في سبيل كل ما هو حق، وكل ما هو خير، وكل ما هو جميل، ولعل هذه العواطف هي التي تدفع إلى النشاط للدعوة، كما تجعل الإنسان يستعذب الألم ويتحمل الأذى في سبيلها، ومن هنا يكون التوجيه نحو القيم الجديدة والإيمان بها، ثم الدفاع عنها، والعمل على حثِّ الناس على الإيمان بها إيماناً لا تزعزعه الحوادث، وأيضاً تكوين عواطف قوية وصادقة ضد ما هو قبيح وذميم من الأشياء والعادات والأعمال.

ومن أهم الأمور التي وجه القرآن العواطف نحوها مشكلات البعث والوحدانية، وبشرية الرسل، وتأييد بعضهم بالمعجزات[١٥]، وإثبات الوحي والرسالة، وبيان أن الدين كله من عند الله، من عهد نوح عليه السلام إلى عهد محمدٍ ﷺ، وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله واحد رب الجميع[١٦].

أما الأشياء التي وجه القرآن العواطف ضدها فهي كثيرةٌ ومتنوعة، فعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر:

أ.بخس الناس أشياءهم، وتطفيف المكيال والميزان، والزنا والربا، والسرقة والنميمة.

ب. (إبليس)- لعنه الله- فقصة إبليس مع آدم قصة بليغة وهي إحدى نماذج القصص القرآني.

٣. الإيحاء أن محمداً ﷺ رسول حقاً، وتأييده بما اصطفاه الله من الرسالة، من التحدي بالغيب، والإعجاز بمعرفة تفاصيلٍ لا يطلع عليها أحدٌ إلا علام الغيوب ولهذا ناحيتان:

أ. بلوغ قمة التوحيد والإيمان والتسليم والتوكل على الله اعتزازاً به.

مما يحقق الأسوة الصالحة والقدوة الطيبة؛ لتملأ النفس المطمئنة بالعزة بالله واللجوء إلى حماه.

ب. تعليم الأدب في الحوار والرقة والتلطف والعطف ليتعلم الداخلون في الإسلام تلك القيم، ويعيشونها(١٧).

ومن ناحية أخرى تصديق الأنبياء السابقين، وتخليد مآثرهم، وبيان نعمة الله تعالى عليهم كقصص سليمان وداود وأيوب وإبراهيم عليهم السلام وغيرهم؛ إذ وردت حلقات من قصص هؤلاء الأنبياء عليهم السلام برزت فيها النعمة من الله في مواقف شتى.

٤. بيان قدرة الله على الخوارق، وبيان عاقبة الاستقامة والصلاح، وعاقبة الانحراف والإفساد، وبيان الحكمة الإنسانية العاجلة، والحكمة الكونية البعيدة الآجلة كقصة موسى عليه السلام والخضر(١٨) والتي سنفرد لها مبحثا خاصا بها.

تجليات القصة القرآنية:

}إن المنهج القصصي في القرآن الكريم نموذج في التكامل والانسجام، وإذا كان الباحثون في الأدب والعلم يتخيرون، مناهجهم اليوم، فللقرآن الفضل في إنارة السبيل لهم بفضل أسلوبه ومنهجه المحكم البناء{(١٩).

وإذا كانت غاية منهج القصص القرآني هداية الخلق وإرساء دعائم التوحيد في الأرض، فهذا لا يعني أن يتبع اللغة الجافة وإنما يصوغ العقيدة في قالب جمالي، تميز به أسلوب القرآن ككل ولم يقتصر على أسلوب القصص فحسب. ولما كانت القصة تستهوي النفوس البشرية لما فيها من عناصر التشويق وأساليب الاستمالة اعتمدها المنهج القرآني

}فالتقى الغرض الديني بالغرض الفني لأن القصة صورة من صور البيان العربي، ووسيلة من وسائل نشر الدعوة، فضلا أن لكل قصة شخصية مميزة وروحا متفردة يعيش معها المتلقي، كما لو كان، يعيش عصرها ويشارك الأحداث والحوار والصراع. ففي القصة القرآنية ثروة من الحقائق والمعارف وثروة من التصورات والتوجيهات والعلوم{(٢٠).

فالقصة القرآنية إذن وضعت قواعد ومناهج وقوانين ضبطت فن الكتابة في العمل الروائي فحددت شكل الحدث، وهيئة الشخصية، وبينت حيز العنصر الأساسي ومكان العنصر الثانوي في التدفق الروائي، وأشارت إلى أن أهمية العناصر الفنية في الرواية لا ترتبط بصفتها أساسية أو ثانوية ولكن بمكانتها في الحبك الفني(٢١).

يتركب القصص القرآني من مناهج تتكامل عناصرها لتصب في هدف وحيد ألا وهو ترك الأثر النفسي على القارئ والخروج بمغزى أو فكرة من خلال القراءة وتداخل هذه المناهج وانصهارها يؤدي إلى بناء كامل متكامل يخدم غرض عقائدي ديني، وتتمثل هذه المناهج فيما يلي:

أ- المستوى النفسي:

يبرز هذا المستوى في تصوير طبائع البشر وتمثيل نفسياتهم وتجسيم مشاعرهم وخواطرهم

وتظهر وحدة هذا المنهج في }إبراز كثير من الظواهر السلوكية في الإنسان، إذ تتناول النواحي الدينية والروحية والقيم الإنسانية العليا، والحب في أسمى صوره الإنسانية، وتتجلى في أثر العبادات في سلوك الإنسان والصراع النفسي، بين الدوافع الدينية والدوافع الروحية، وتوافق الشخصية عن طريق تحقيق التوازن بين الجانب المادي والجانب الروحي في الإنسان(٢٢)، فالمنهج النفسي في قصص القرآن يدرس الشخصيات بكل أنماطها وسلوكها وأنواعها ويرصد مكنوناتها من مشاعر متعددة فلنلاحظ الحالة النفسية لأم سيدنا موسى عليه السلام بعد أن أوحى الله لها أن تلقيه في اليم بعد إرضاعه، يقول عز وجل: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ

حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [القصص: ١٠- ١٣]، لا شك أن عاطفة الأمومة المتأججة في صدر أم موسى عليه السلام واضحة نستشفها من خلال إيحاءات النسق القرآني، إذ يصور حالة الفراغ العاطفي والوجداني، يعد فقدان ابنها، ومن خلال القراءة يبقى قلبك معلقا في معرفة ما سيحدث له إلى أن يخبرنا السياق بلطف الله ورحمته مدى الحرقة والقلق اللذين تتعرض لهما الأم مما يجعلنا نشفق لحالها ونتعاطف معها.

فالمنهج النفسي في القصص القرآني إذن يأتي مصاحبا للأحداث حيثما حلت وذلك لأن الغاية من القصص هي تحقيق الأثر نحو الاستجابة.

ب -المستوى الحسي والتجريدي:

}لما اقتضت مشيئة الله عز وجل أن يخلفه بنو البشر في الأرض جهزهم بجهاز الرغبات والانفعالات ووهبهم الحواس للتعامل مع عالمهم المحسوس، كما منحهم العقل وحملهم مسؤولية الإدراك اتجاه الأمانة التي أوكله إليه{(٢٣) يقول عز من قائل: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وبذلك ارتقى الإنسان من عالم المحسوس إلى عالم أوسع أفقا وهو عالم المعاني ليدرك غاية وجوده ووجود خالقه حتى يتجه إلى طريق الحق والفضيلة ويبتعد عن سبيل الضلال والرذيلة بالاعتماد على الاستدلال من جمال خلق الله للوجود وموجوداته(٢٤) والواقع أن حواس الإنسان وعقله تتكامل للوصول إلى الحقائق والكشف عن المنهج الحسي في آيات شتي من مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧]، فبواسطة هذه الحواس تتفتح أمام العقل الحقائق وتتضح له مظاهر الكون وقدرة الله وعلمه وحكمته وآيات عديدة تبرز هذه الصلة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠]{ بالإضافة إلى أن المنهج التجريدي في قصص القرآن يعمل على البحث في ذات الإنسان وأسرار تكوينه البيولوجي والنفسي فإن في الأنفس عالما رحيبا وكونا فسيحا وعنه ليكفي أن يقيم الإنسان بصره على مسيرته في الحياة من وجوده نطفة إلى أن صار رجلا ومن الواضح أن المستوى الحسي التجريدي في قصص القرآن يخاطب العقل والحواس ويهيئ السبيل للحواس لتكشف مكامن الحقيقة للعقل حتى تستجيب النفس وتذعن للهداية والبراهين العقلية والدعوة للتدبر والتفكر في

كل المخلوقات الكونية وموجوداته يقول جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، كل ذلك غايته إيقاظ شعور الإنسان بالمسؤولية الموكلة إليه ينتهج القصص القرآني الحسن والتجريد ليبلغ الأثر الذي يتوخاه القرآن ككل ويدل الخلق إلى الصراط القويم، ومنه وظف حواس الإنسان وعقله وساق الأدلة الحسية والبراهين العقلية التي لا يصعب معها كل ذي بصر وبصيرة، ملاحظة وجه الحقيقة الإلهية مع وجوب التذكير بالأسلوب الأخاذ بتعبيره الجميل وبذلك يصبح في قصص القرآن سبيلا لإرساء دعائم العقيدة الإسلامية.

ج-المستوى الديني:

لا شك أن الدين هو عماد الحياتين بل وأن الأديان السماوية هي التي رفعت من قدر الإنسانية في الكون، وعلمت الإنسان كيف يسمو فوق ذاته، كان لها النصيب الأوفر في دفع عجلة الزمن للخروج بالإنسانية من البدائية اللاهوتية التي كانت من أبرز آثارها في الإنسان سيطرة الأوهام عليه فأصبح بفضل ما غرست هذه الأديان في قلبه من اطمئنان وفي نفسه من ثقة باحثا عن حقيقة وجوده، وعما يمكنه من فرض سيادته على هذا الكون الذي أنسى إليه بعد الوحشة(٢٥) ومن هنا يصبح المنهج الديني موكبا للقصص القرآني بحيث تسعى القصة إلى بث الخلق الكريم والإيمان بمدبر الكون الذي يتحكم في مصائر الناس جميعا، كما يسعى إلى وجوب التدبر في ما سرده من أخبار الأقوام، وفي القرآن إشارة لقصة قوم يونس عليه السلام على الوقوع في العذاب، لولا إيمانهم، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]، فالحقيقة التي يقررها قصص القرآن هي حقيقة الإيمان وما ينيره لصاحبه من سبل الرضى، وما يقابلها من حقيقة الكفر وما يستوجبه من نقل العذاب والخزي، فكانت هذه القصص أفضل أداة لتربية النفوس وتثبيت العقيدة بفضل المنهج الذي سلكته.

خصائص القصة القرآنية وأهدافها:

أولاً- الإيجاز: إن خاصة الإيجاز المعجز فيما أورده القرآن الكريم من أخبار الأمم وقصص الرسل والأيام الغابرة من الخصائص الجديرة بأن تلفت نظر الباحث ليتعمق بها بكل ما فيها من آلام وآمال وعبر ومواقف عظيمة وعصبية(٢٦).

ثانياً- وحدة الغاية في كل ما ورد في القرآن الكريم من أخبار وأنباء وقصص فهي دعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى. وهذه الغاية تتكون من عناصر أهمها:

١. أن الله واحد لا شريك له.
٢. أن قدرة الله سبحانه وتعالى عظيمة غير متناهية.
٣. أن الرسل عباد للرحمن يرسلهم إلى الناس ليهدوهم إلى الدين القويم وهؤلاء الرسل أسرة واحدة يكمل بعضهم بعضاً.
٤. أن هؤلاء الرسل لبشريتهم حينما يدعون الناس إلى الدين الصحيح يجدون صداً وعزوفاً، ثم لا يلبثان أن يصبحا عداوة وكرهاً.
٥. أن الله جل جلاله يؤيد رسله بمعجزات لإثبات صدقهم.
٦. أن الرسل يصبرون أمام جحود وعناد الكافرين(٢٧).
٧. ولعل الغاية الكبرى والهدف الأعظم للقصة القرآنية هو: إعجاز القرآن، وإثبات نبوة محمد ﷺ.
٨. تثبيت قلب النبي ﷺ وتقوية نفوس صحبه وإخوانه من خلال نصر الله تعالى لرسله وأوليائه وزجر الضالين والمعاندين وزحزحتهم عن مواقفهم فتتأثر النفوس بحسب ما تحتاج إليه إذ يتولى عليها بيان نصر المؤمنين وخذلان الكافرين وإحقاق الحق وإزهاق الباطل ويتكرر رفع راية العدل وسحق قوة الظلم من خلال القصص التي يذكرها القرآن، بل بما يقع فيه التصريح بهذا التنبيه وإثارة هذه العقبة في كثير من مناسبات القصص(٢٨).
٩. بث القيم الدينية الواضحة وترسيخ أسس الدين القويم بما يقع في طيات القصص من حوار ومواعظ يصغي إليها السامع ويتابعها القارئ سواء أكان موافقاً أو مخالفاً مؤمناً أو جاحداً لما في طبيعة القصص القرآنية من التشويق والإثارة(٢٩).
١٠. إن القرآن الكريم اصطفى من الأحداث التاريخية الهامة في حياة المخلوقات ما يخدم الدعوة الإسلامية ويرسخ عقيدتها ويوجه المسلم توجيهاً صحيحاً ويفتح للناس طرقاً للعبرة والعظة منها كما أنه تخير من هذه الأحداث ما رآه صالحاً لبناء الصورة المحققة لهذه الغاية.

المبحث الثاني
بناء الشخصيّة

يشير المعجم إلى دلالة لفظة (الشخصيّة) من خلال مادة (ش خ ص) التي تعني سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه، والشخص هو كل جسم له ارتفاع وظهور، وجمعه أشخاص وشخوص وشِخاص، وشَخَصَ تعني ارتفع، والشخوص ضد الهبوط، كما يعني السير من بلد إلى بلد(٣٠)، وشَخَصَ ببصره أي رفعه فلم يطرف عند الموت، قال تعالى: ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الأنبياء: ٩٧]. والرجل الشخيص أي السيد عظيم الخلق. وتشخيص الشيء تعيينه(٣١).

وهذه المعاني تُشير إلى ذاتٍ هي الإنسان، وإلى فعل مرتبط بالإنسان نفسه أو غير مرتبط به. وقد ربطت تلك المعاني الشخصَ بالرؤية، مما يعني أنه شيء حسيّ له جسم وله ارتفاع وظهور. ومن هنا فإن دلالة الشخص- حسب المعاني السابقة- لا تتأكد حتى يظهر للعيان بجسمه، أما إذا بقي مختفيًا فإنه ليس شخصًا، والأمر نفسه إذا لم يتأكد حضوره الحسيّ.

وقد جاءت كلمة (شخص) مختلفة المعاني مرتبطة بالحسّ في إشارتها للذات كالسيد العظيم أو سواد الإنسان. وكذلك في إشارتها للفعل الذي يمكن أن يصدر من ذات لها وجود حسيّ، ومن تلك الأفعال: شخوص البصر الذي يعني ارتفاع النظر إلى أعلى، أو تشخيص الشيء بمعنى تعيينه. فارتفاع النظر مرتبط بالناظر وهو الشخص الذي قد يكون إنسانًا أو حيوانًا، في حين أن تعيين الشيء بحاجة إلى عقل قادر على التمييز بين الأشياء ليتمكّن من تشخيصها. ولهذا فإنه يلاحظ أن ربط الشخص بالتشخيص يجعل دلالة الشخص مقصورة على الإنسان. كما يُلاحظ من هذه المعاني أن الشخص يُراد به الشيء الموجود وجودًا ماديًا وهو الذي تُدركه الحواس. ويشمل الشخص- بهذا المعنى- الإنسان وغيره من الموجودات، لكن المعجم اشترط أن يكون المشخِّص- أي الرائي- إنسانًا، ممّا جعل كلمة شخص تستعمل في الدلالة على الإنسان أكثر من استخدامها في الدلالة على غيره، وذلك من خلال الأفعال المسندة إلى الشخص فيما يمكن أن يرتبط بالإنسان وبغيره. إلا أنه يلاحظ أن المعجم قد استشهد بالآية الكريمة التي ربطت شخوص العين بالكافرين؛ مما يعني أَنّ الشخوص- وهو معنى مشترك بين الإنسان وغيره- مقصور كذلك على الإنسان.

هذا ما كان عن كلمة (شخص)، أما كلمة (شخصية) فإنها لم ترد إلاّ في العصر الحديث، وقد جاءت مترجمة عن اللغة الفرنسية في الأصل التي استخدمت فيها كلمة

شخص (Personne) في القرن الثاني عشر الميلادي(٣٢). وهي مشتقة من الأصل اللاّتيني (Persona)، وظهرت كلمة شخصية (Personnage) بعد كلمة شخص في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، واشتهرت في القرن الخامس عشر الميلادي. وقد استخدمت في حقل علم النفس كما تشير لذلك الموسوعة الفلسفية بأنها }مأخوذة من الترجمة الفرنسية (Personnalité)، وتعني الخصائص الجسمية والوجدانية والعقلية والنفسية التي تعيّن الفرد وتميزه عن غيره؛ فلكل شخص شخصيّة تخصه دون سواه{(٣٣).

أمّا في الحقول المعرفية الأخرى المهتمة بالشخصية، فنجد أنّ علم الاجتماع معنيّ بالشخصيّة بوصفها أحد أسس النظام الاجتماعي؛ فالمجتمع يقوم على علاقات متبادلة يكون الفرد فيها عنصرًا مهمًا وتؤثر شخصيته في تفاعله مع المجتمع، كما يؤثر المجتمع– بوصفه منظومة شاملة للثقافة والحياة– على بناء الشخصيّة وتكوينها.

وتعني الشخصية }التكامل النفسي الاجتماعي للسلوك عند الكائن الإنساني الذي تُعبّر عنه العادات والاتجاهات والآراء{(٣٤). فثمّة ربط لأفعال الإنسان الفردية والاجتماعية بما ينتج عنها من نظم اجتماعية تتمثل في العادات والاتجاهات؛ وكأنّ المجتمع بعامة يمثل شخصيّة لها نمط معين يمكن لهذا النمط أن يُفرز شخصيات تنتمي إليه مع مراعاة الاختلافات النوعية المتمثلة في السمات النفسيّة(٣٥). ويُعنى علم الاجتماع بالجماعة التي تتكون من الأشخاص، }ودراسة الشخص تكون ضمن إطار المجموعة التي ترتبط بسمات مشتركة وبعوامل تتحكم في نشاطها{(٣٦). وقد اهتم علم الاجتماع بهذه الجوانب من الشخصية التي لا تظهر إلا مع الجماعة. وسيفيد البحث من هذه النظرة للكشف عن العلاقات بين الشخصيات وللكشف عن أثر ثقافة المجتمع على تكوين نمط معين من الشخصيات، بوصف }الشخصيّة هي عنصر البناء الاجتماعي في كافة مستويات المجتمع{(٣٧).

أمّا مفهوم الشخصيّة في علم النفس فإنه متعدد تبعًا للمحددات التي يضعها المحلّلون لدراسة طبيعة الشخصية ونموها وتقييمها وكذلك علاجها. ومن هنا فثمة من يُعرّف الشخصية بالنظر إلى الصحة النفسية في }توافق الفرد مع ذاته ومع غيره{(٣٨). ويركز السلوكيون على المظاهر الخارجية للشخص على اعتبار أن }الشخصية هي مجموعة

العادات السلوكية للفرد التي يمارسها في أوجه النشاط المختلفة؛ في حين يرى علماء التحليل النفسي أن الشخصية قوة داخليّة تُوجّه الفرد في كل تصرفاته[٣٩].

ويمكن حصر أهم تعريفات الشخصيّة في علم النفس في أربع مجموعات: تنظر المجموعة الأولى إلى الشخصيّة بوصفها مثيرًا خارجيًا في الآخرين. وتنظر المجموعة الثانية إلى الشخصية من جانب الاستجابة للمؤثرات المختلفة.

وهناك مجموعة تُعرّف الشخصيّة باعتبارها متغيّرًا يرتبط بعوامل تتجاوز المثير والاستجابة. وتركز المجموعة الرابعة على تفاعل الشخصيّة مع العوامل المختلفة، بوصف الشخصية وحدة نتائج متداخلة منها الثابت ومنها المتغيّر. ولكل مجموعة مما سبق عناصر يُركز عليها مفهوم الشخصية، وتلك العناصر هي محور الدراسات النفسية في تنوعها واختلافها، فيما يتعلق بنظريات الشخصية وطبيعتها وأساليبها[٤٠]. ويمكن القول بأنه تبعًا للتعريفات السابقة قامت نظريات تدرس الشخصية وتحللها وتبلور صورتها من نهاية القرن التاسع عشر، ويمكن تحديد خمسة اتجاهات أو نظريات كبرى لعلماء النفس في نظريات الشخصية والتي هي:

أولا: نظرية التحليل النفسي:

❖ **نظرية فرويد:**

رأى فرويد أن الشخصية مكونة من ثلاثة أنظمة هي الهو، والأنا، والأنا الأعلى، وأن الشخصية هي محصلة التفاعل بين هذه الأنظمة الثلاثة:

١. الهو:

الهو هو الجزء الأساسي الذي ينشأ عنه فيما بعد الأنا والأنا الأعلى ويتضمن الهو جزئين:

- جزء فطري: الغرائز الموروثة التي تمد الشخصية بالطاقة بما فيها الأنا والأنا الأعلى.
- جزء مكتسب: وهي العمليات العقلية المكبوتة التي منعها الأنا (الشعور) من الظهور ويعمل الهو وفق مبدأ اللذة وتجنب الألم ولا يراعي المنطق والأخلاق والواقع وهو لا شعوري كلية.

٢. الأنا:

يعمل الأنا كوسيط بين الهو والعالم الخارجي فيتحكم في إشباع مطالب الهو وفقا للواقع والظروف الاجتماعية وهو يعمل وفق مبدأ الواقع ويمثل الأنا الإدراك والتفكير والحكمة والملاءمة العقلية ويشرف الأنا على النشاط الإرادي للفرد ويعتبر الأنا مركز الشعور إلا أن كثيرا من عملياته توجد في ما قبل الشعور، وتظهر للشعور إذا اقتضى التفكير ذلك. ويوازن الأنا بين رغبات الهو والمعارضة من الأنا الأعلى والعالم الخارجي، وإذا فشل في ذلك أصابه القلق ولجأ إلى تخفيفه عن طريق الحيل الدفاعية.

٣. الأنا الأعلى:

يمثل الأنا الأعلى الضمير، وهو يتكون مما يتعلمه الطفل من والديه ومدرسته والمجتمع من معايير أخلاقية. والأنا الأعلى مثالي وليس واقعي، ويتحه للكمال لا إلى اللذة– أي أنه يعارض الهو والأنا.

أنظمة الشخصية ليست مستقلة عن بعضها، ويمكن وصف الهو بأنه الجانب البيولوجي للشخصية، والأنا بالجانب السيكولوجي للشخصية، والأنا الأعلى بالجانب الاجتماعي للشخصية فإذا استطاع الأنا أن يوازن بين الهو والأنا الأعلى والواقع عاش الفرد متوافقا، أما إذا تغلب الهو أو الأنا الأعلى على الشخصية أدى ذلك إلى اضطرابها[٤١].

النظرية الإسلامية

عند تعريف الشخصية وفق المنظور الإسلامى لابد من ثلاثة شروط وهى:

١. مصدر المعرفة وسبيل الوصول إليها.

٢. التصور عن الإنسان.

٣. التصور عن الكون والوجود.

ومهمة التأصيل الإسلامي للشخصية ثلاث عمليات:

١. إضافة مصدر جديد للمعرفة يتمثل في القران والسنة أو الوحي.

٢. إضافة أبعاد للشخصية جديدة بحسب ما يوفر لنا المصدر الجديد من معلومات.

٣. إعادة ترتيب أبعاد الشخصية.

وقد كان هناك محاولات تأصيل علم نفس الشخصية وانتهت الى طريقين[٤٢].

١. **الإسقاط والتأويل:** إن أقسام النفس في الإسلام هي أقسام النفس عند فرويد وبدا الباحث يفند ما هي هذه الأنفس وخلص لعدة نتائج:

أ. أن الأوصاف لذات واحدة وليس لثلاث نفوس.

ب. هذه الأنفس تتعاقب ولا تجتمع في وقت واحد.

ج. الصراع فى النفس ليس وظيفة إنما هو عمل تقوم به النفس وطالما أنها تتعاقب ولا تجتمع فى وقت واحد فليس بينها صراع.

د. هذه الحالات شعورية وليست لا شعورية وحال الاطمئنان النفس ليس بسبب التوافق مع الوضع الاجتماعي انما التوافق مع شرع الله.

هـ. اطمئنان النفس يتحقق فى التصور الإسلامى حتى لو لم يتحقق إشباع الحاجات المادية.

التنظير

أول من حاول تقديم دراسة للشخصية هو محمد قطب ١٩٥٢م وانتقد المدارس التحليل والسلوكية وبعد ذلك نشر تصوره في كتابة دراسات في النفس الإنسانية ثم جاء سيد احمد عثمان ١٣٩٩هـ وركز على الجانب الاجتماعي ١٤١٥هـ نشر عبد العزيز النغيمشى كتاب علم النفس الدعوى.

١. نظرية محمد قطب:

ويرى محمد قطب الإنسان له طبيعة مزدوجة:

أ. قبضة من دين تتمثل فى الجسد ومطالبة والشهوات والدوافع أو القوة الحيوية ولو أزيل العضو لازال النشاط.

ب. نفخة من روح الله وهو الجانب الروحي وهو الوعي والإدراك والإرداة وتتمثل في القيم والمعنويات التي يمارسها ونلاحظ ما يلي:

١. إن العنصران مختلطان ممتزجان ويودى نشاطه بدون انفصال عنصر عن الأخر.

٢. توجد في النفس خطوط متقابلة متجاورة في النفس ومختلفان في الاتجاه وهى الخوف والراجا والحب والكراهية والواقع والخيال والالتزام والتحرر والسلبية والايجابية والفردية والجماعية[٤٣].

٣. هذه الخطوط تظهر في دائرة الوعي وهى فطرية وأول ما ينشا منها الخوف والرجاء والحب والكرة ودلال على ذلك الخوف من فقد مرضعته وعندما يكبر يخاف من أشياء مثل الظلام والمرتفعات.

٤. تأتى مرحلة القيم تشجيع الناس وثنائهم وتعبيرهم ويقول إن سلوك الإنسان واع

ويدفعه مجموعة من الدوافع الفطرية من الخلف الألم ومن الإمام اللذة ويوجد ضوابط لهذه الدوافع مجبول عليها من الدين والتوحيد وتتمثل في فطرته وهو صغير فى سؤال من خلق السموات والأرض.

٥. الفطرة تكوين داخلي والدين احد مقوماته وتستيقظ بفعل المثيرات الخارجية والقيم العليا جزء من الفطرة.

٦. الأحلام تأتى رغبة البشر فى السعي نحو الكمال والجمال.

٢. نظرية سيد عثمان:

١. ميز الفطرة الإنسانية عن الحيوانية بان الإنسان له القابلية التدين والفكاهة والجماليات.

٢. يرى أن الشخصية السوية هي التي يتلازم فيها البدن والروح وتشبع فيها حاجات كل منها واسماها النواة الصلبة وهى العبودية لله ومن هذه النواة تتشعب كافة جوانب الشخصية المسلمة سواء كانت معرفية أو انفعالية أو دينية أو اجتماعية وكذلك يوجد في كل معلم ثلاث ملامح الايجابية والتفتح والتفرد.

٣. نظرية عبد العزيز النغيمشى.

تتمحور نظريته في أبعاد عدة هي:

١. لابد من وجود نظرية شاملة للشخصية تجمع ما تناثر من نظرات ورؤى تثبت علميا.

٢. يرى أن الشخصية تتكون من أربع حواس الحاسة العضوية والحاسة الروحية والحاسة العبادية والحاسة الخلقية وقام بجمع الأدلة والبراهين على وجودها.

٣. أن الحواس الأربع تكون الفطرة وإذا توافق الجانب الاكتسابي الإرادي مع تكوين الفطرة الداخلي صحت الشخصية وسلمت والعكس صحيح.

٤. يرى أن الشخصية تتشكل من خلال عمل الشخص وكسبة وليس من خلال مكوناته بيولوجية والسيكولوجية لأنها غير إرادية(٤٤).

٥. يرى أن الطاقة المحركة للشخصية هي العبودية لله.

٦. يرى أن الشخصية الإسلامية لابد أن تتسم بالاتي التوازن في تلبية مطالب الجسد والروح والفطرة والسلوك يكون هناك انسجام ووالوسطية في السلوك فلا تفريط ولا

إفراط ويكون الإنسان اجتماعي مع من حوله من حيث المصداقية وكذلك الإنتاجية(٤٥).

وهذه المحاولات تساعد على وصف الناس وتفسير سلوكهم حتى تستطيع أن تتوقع نوع السلوك الذي يمكن أن يصدر منهم في مواقف معينة.

المبحث الثالث

الشخصية في القصة القرآنية

اهتم السرد القصصي القرآني بالشخصية، وصورها في أحسن صورة، حين سمح بتتبعها ورسم ملامحها بدقة، }فالشخصية في القصة القرآنية تعتبر رسما فنيا ننقل من خلاله أبعادها وحركاتها ونماذجها{، ذلك أن منطق القصة القرآنية يتناول الشخصية في موقف ما وهذا الموقف يحدد تبعا لطريقة طرحه المسلك الذي تسلكه الشخصية، فالقصة القرآنية تضع أمامنا معالم الشخصية التي تتحرك أثناء القصة أو تتمحور حولها أحداث القصة وتشارك مع غيرها في بناء القصة فتحدد نوعية الشخصية من خلال العرض القصصي(٤٦) وميزة البناء القصصي في القرآن هو وضع الشخصية في مواقف متجددة بحيث يتجدد المشار القصصي ويندفع إلى النمو وهذا التوجيه البنائي يدفع بالشخصية إلى الحركة الدائمة.

كان نجاح القصة مقيسا بمدى الأثر في المتلقي اهتمت القصة بالجانب التربوي وهي تعرض لنا شخصية ما في موقف ما فالقرآن الكريم ليس كتابا في القصة يستمع إليه الناس وإنما هو كتاب دعوة دينية في المقام الأقل، وقد وعت القصة القرآنية هذا المفهوم وعياً تاما فجاءت الشخصيات طبيعية تدل أفعالها وأقوالها على حقيقتها بلا اختلاف أو توليف، والذي يتبع القصص القرآني يلحظ شخصيات كثيرة نذكر منها شخصيات أنبياء الله تعالى، كآدم، هود، موسى صلوات الله عليهم، وشخصيات أعداء الله عز وجل كفرعون وجالوت ويأجوج، وهناك شخصيات تكررت أفعالها في صور مختلفة في السور القرآنية كنموذج للشخصيات المرسومة في القصة القرآنية- شخصية سيدنا موسى عليه السلام- التي أبدع التعبير القرآني في أخراجها لنا حتى بدت مكتملة البناء والملامح(٤٧).

ومن خلال هذه الواقعة }يبين لنا القرآن الكريم الطبع العصبي في شخصية موسى عليه السلام وسرعة انفعاله، فهو يظهر سريع الاندفاع في نصرة الإسرائيلي وعنيف مع المصري، وسريع التوبة والرجوع إلى الله ومعاتبة النفس، مما يبرز طيبة قلبه وصفاء سريرته{(٤٨).

ثم يأتي اليوم الموالي ويخرج موسى عليه السلام إلى المدينة- يتوجس خيفة من افتضاح

أمره، ويجد نفسه ثانية في موقف مماثل لما مر به، ويصور القرآن الكريم هذه الحادثة: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (١٨) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص: ١٨– ١٩]، وتبقى الطبيعة الانفعالية تسيطر على سلوك النبي ﷺ ويرسم القصص القرآني لشخصيته سمات تجعله }نموذجا للزعيم القوي المندفع بحدة الطبع والمزاج وسرعة الانفعال وحساسية الوجدان ولعل هذه السمات هي التي جعلت خطوط نجاحه أقوى في قيادة شعب صلب المراس، معقد النفسية هو شعب بني إسرائيل شعب يتولى بعد أن يرى الآيات العظام، ويصور القرآن ما كان من أمرهم بعد أن غاب عنهم نبيهم في مناجاة ربه{(٤٩).

كما يبرز القصص القرآني سمات شخصية هذا النبي الكريم من خلال طريقة تعامله مع هذه الحالة التي وجد فيها قومه: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٠– ١٥١]، وواضح المزاج العصبي الذي يتحكم في سلوك موسى ﷺ (إذ يغضب في الله فيرمي الألواح، ويشد برأس يجره إليه كل ذلك في سرعة وخفة ثم في سرعة أيضا يتراجع ويستغفر الله له ولأخيه ويرجو رحمته، وهو تراجع يذكرنا بما حصل في حادثة الإسرائيلي والقبطي، مما يدل على أن اندفاعه يقترن دائما بتراجع وهي صفات الإنسان العصبي) هكذا يكشف القصص القرآني أبعادا مهمة في الشخصية سواء كانت شخصية الأنبياء أو شخصيات أخرى من البشر، يرسمها بكل دقة وأمانة، وفي أرجائه الفسيحة نماذج كثيرة أبدع التصوير القرآني في إخراجها. وما أوردها من إبداع الرسم القرآني ليس سوى النزر القليل من النماذج المتعددة في القصص القرآني. فتصوير القصص التي حاكها الواقع في القرآن هي قصص تتبعها العين البصيرة بكل شيء عن العزيز الخبير. لذلك غاص في أعماق النفوس وخبايا الأمور فسجل وقائع الأمم الغابرة وبعثها من جديد وأحياها في حاضرنا ورسم شخصياتها وما انطوت عليه فيجب أن ينظر على هذه القصص على أنها منهج تربوي وسراج ينير السبيل للهدى لأنها

قصص الإنسان في مختلف أحواله وسلوكاته لانستثني مكانا غيره ولا قوما عن سواهم هي دعوة شاملة للحق والتفكير فيه. كل ذلك بأسلوب جميل معجز يتسق فيه الفن بالدين اتساقا يتداعى أمامه كل جمال مع ترجيح لكفة الدين لأنه الغاية التي من أجلها سيقت هذه القصص وفي الأخير تبقى الحرية لكل فرد في الاستجابة أو الإعراض، يقول عز من قائل:

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٤].

أقسام الشخصية في القصص القرآني:

نستطيع تقسيم الشخصيات حسب ورودها في القصص إلى:

* الشخصيات الرئيسة: تدور في فلكها الأجداث الأساسية منها: ملكة سبأ، مريم، امرأة العزيز، يوسف، بنو إسرائيل في قصة موسى وغيرها.

* الشخصيات الثانوية: تظهر كمساعد للشخصية الرئيسة وهي ذات دور محدود مثل شخصية أخت موسى في قوله: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ ﴾ [القصص: ١١– ١٢]، وابنتا شعيب، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٣– ٢٥].

* الشخصيات الهامشية: لا يكاد يظهر من ملامحها شيء ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص: ١٥]، وحوار البشر مع الحيوان في قوله تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل: ٢٠ – ٢٢].

أما في ما جاء عن حوار البشر مع الجن قال عز وجل: ﴿ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا

قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴾ [النمل: ٣٨ – ٤٠].

* شخصيات عالم الشهادة: تشمل عالم الإنس منها المؤمن والكافر كما أن منها النساء ومنها الرجال، قد يذكرون بأسمائهم أوصفاتهم، أفرادا أو جماعات، أما الأفراد كذكر الأنبياء في القصص في قوله تعالى مثلا: ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩– ٧٢].

النماذج الإنسانية في القصص القرآني:

حفلت صور القرآن بأصناف من البشر خدمة لمختلف الأعراض كانت هذه الأصناف أحيانا صورة للجنس البشري كله وأحيانا أخرى لأشخاص منه مكررين. فالإنسان مخلوق باستعدادات تحمله المسؤولية نحو ما يصدره من خير وشر لذلك حفلت به صور القرآن فرصدت إيجابياته وسلبياته ووصفته بالكفر والظلم والطغيان كما وصفته بالإيمان والعدل والطيبة والإصلاح والتهذيب؛ لأنه نواة الحياة الدنيا تصلح بصلاحه وتفسد بفساده(٥٠).

١. الجوانب السلبية:

تكشف صور القرآن عن صفات سلبية في نفوس البشر مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٧– ١٨]، هي صورة شخصت حال المنافقين وتذبذهم بين الكفر والإيمان(وهي عينة تصورها أيضا هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١]، تمثل هذه الصورة كسابقتها الاستقرار والتأرجح بين الهدى إلى الضلال وكلاهما تصوران تزعزع العقيدة وانقلاب الحال من الهدى إلى الضلال فأخرجها القرآن في نسق فني رائع ألقى في نفوسنا مشاعر الاحتقار تجاه هؤلاء المنافقين(٥١).

ثم لننظر ما تثيره فينا الصورة التالية من مشاعر السخرية والاحتقار لردة الفعل التي

يعتبرها هؤلاء بعدما صدمتهم الآيات يقول الله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ [المدثر: ٤٩– ٥٠]، يسخر النظم الكريم في هذه الصورة من نموذج المعرضين الذين لا يقتصر إعراضهم على الرفض وإنما يفرون جريا يشبه في سرعته فرار الحمر من بطش القسورة، ومن هنا كان تصوره على هيئة الحيوانات مناسبا وفي ذلك تحقير له وحكم عليه بالغفلة والبلادة وانقطاع الرجاء منه وهذه النماذج قليل من كثير جدا في أرجاء القرآن الفسيحة أبدع النظم القرآني الجليل في تصويرها فكان بحق أصدق تصوير لأنه العليم الخبير(٥٢).

٢. الجوانب الإيجابية:

لا شك أن الصفحة الإنسانية ليست كلها سوداء (وإنما فيها من الألوان الواهية الفاتحة للنفس ما يغطي هذا الجزء السوداوي الذي وإن كانت قد تناولته فإنما كان ذلك التناول بهدف تربوي أرشادي(٥٣).

نجد في الصورة الآتية (صخب) (المعركة) وصبر المؤمن الشجاع: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، }هي صورة لنموذج رائع ومثال في الصبر والثبات وتزاوج فيها الصدق الواقعي بالجمالي في تجسيد إخلاص الولاية لله: من مؤمنين داسوا على جراحهم وآلامهم ولم يزحزح إيمانهم بالله تخويف الناس لهم وجموع الجيوش المشتركة{(٥٤).

وننظر لبلاغة التصوير في تفسير القرآن حيث يسمو التفسير بالفقير فيرفعه لأعلى درجات الكمال ويصبح بفضل جمال التفسير القرآني في أقصى معاني الكرامة فيقول الله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

فالأمثلة على هذه النماذج كثيرة في القرآن لن تكفي الصفحات ولا حتى المجلدات لحصرها وذلك أن جمال القرآن أكبر من كل فهم ونصل أخيرا إلى أن }الحضور الإنساني في صور القرآن كبير كونه محور الحياة والنواة التي تحوم حولها قضايا العقيدة بجملتهما وتفصيلها{(٥٥).

إن القران الكريم اتجه في تصنيف الناس على أساس العقيدة تحت ثلاثة أنماط وهي: الإيمان والكفر والنفاق، ولكل نمط من هذه الأنماط الثلاثة سماته العامة التي تمتاز به عن الآخرين، لذا فان هذا التصنيف القرآني يكشف عن أن للعقيدة أهمية في تكوين شخصية الإنسان وفي تحديد سماته المميزة له وفي توحيد سلوكه على نحو معين تميز به. ومن الجدير بالذكر انه يمكن النظر إلى الاتجاهات العامة في شخصية الإنسان النافع حيث سعى الإنسان إلى كشف أغوار نفسه منذ الأزل متقدماً تارة ومتعثراً تارة أخرى وسيبقى يحاول ارتياد ذلك مجتهداً مادام موجوداً على هذه الأرض ليثبت باستمرار تلك المحاولة قوله تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١]، وفي خطوة على هذا الطريق جاء هذا البحث لدراسة هذه الأنماط الثلاثة من خلال القصص القرآني.

المبحث الرابع

شخصية الأنبياء والمؤمنين

قصة موسى مع العبد الصالح

تعد شخصية موسى عليه السلام من أكثر الشخصيات القرآنية ذكرا في القرآن الكريم إذ تعددت قصصه وتنوعت أساليبه منذ ولادته وحتى صراعه الطويل مع بني إسرائيل عامة وفرعون بخاصة، وغالبا ما تكررت قصته من سورة إلى أخرى ولكن بسياق مختلف، وأسلوب جديد، إذ يجمل في موضع ويبسط في آخر، إلا أن قصة موسى مع العبد الصالح في سورة الكهف لم تتكرر إذ جاءت مرة واحدة في القرآن الكريم، لذا سنقتصر عليها في تحليل شخصية موسى عليه السلام، ونبرز الصفات التي يتمتع بها موسى والعبد الصالح من خلال الأسلوب الذي جاءت به وهو الحوار.

إن تحليل شخصية فذة كموسى عليه السلام والعبد الصالح يتطلب منا أن ندرس بداية القصة، كيف كانت؟ وما سببها؟ وما السياق الذي وردت فيه؟ فمن خلال هذه العناصر تتضح ملامح الشخصية في القصة القرآنية.

لقد كانت بداية القصة غامضة جدا، بل موغلة في الإبهام، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾ [الكهف: ٦٠]، من الفتى؟ وما مجمع البحرين؟ ما اسمه؟ وأين مكانه؟ إلى غير ذلك أسئلة تحتاج إلى أجوبة ولكن لم نجدها؛ لأن مغزى القصة ليست الأسماء أو الأماكن أو الأزمان، إنما الأحداث وما تنتجها، كل ذلك الغموض في أول القصة وفي بدايتها.

قال سيد قطب: }إن القوى الغيبية لتتحكم في القصة منذ نشأتها، فها هو ذا موسى يريد أن يلقى هذا الرجل الموعود، فيمضي في طريقه، ولكن فتاه ينسى غداءهما عند الصخرة، وكأنما نسيه ليعودا، فيجد هذا الرجل هناك، ولم ينبئنا القرآن باسمه، تكملة للجو الغامض الذي يحيط بالقصة، وما قيمة اسمه؟ إنما يراد به أن يمثل الحكمة الإلهية العليا، التي لا ترتب النتائج القريبة على المقدمات المنظورة، بل تهدف إلى أغراض بعيدة لا تراها العين المحدودة، فعدم ذكر اسمه يتفق مع الشخصية المعنوية التي يمثلها|(٥٦).

إن القرآن الكريم لم يذكر لنا شيئا عن سبب رحلة موسى للبحث عن العبد الصالح، إلا أن السنة النبوية أوضحت ذلك وبينت أن سبب الرحلة كان عتاب الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام، فقد صح عن ابن عباس في سبب ورود القصة: أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى، قال ابن عباس: هو خضر فمر بهما أُبي بن كعب، فدعاه ابن عباس فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل إلى لقيه هل سمعت النبي ﷺ يذكر شأنه؟ قال نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: **}بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحد أعلم منك ؟ قال موسى: لا، فأوحى الله إلى موسى: بلى، عبدنا خضر، فسأل موسى السبيل إليه فجعل الله له الحوت آية، وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه، وكان يتبع أثر الحوت في البحر، فقال لموسى فتاه أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة؟ فإني نسيت الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، قال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا، فوجدا خضرا، فكان من شأنهما الذي قص الله عز وجل في كتابه|**(٥٧).

لقد عتب الله تعالى عليه إذ لم يرد العلم إليه، فلا ينبغي للمرء مهما أوتي من العلم والحكمة أن يغفل عن سعة علم الله تعالى الذي يتجاوز تصورات البشر ومداركهم، وهذا ما أراد الله تعالى أن يعلمه لموسى عندما جمعه بالعبد الصالح(٥٨).

ثم إن عتاب الله تعالى لبعض الأنبياء والمرسلين يدل على إثبات بشرية الأنبياء، وأنهم وإن بلغوا قمة الكمالات البشرية لا تزول عنهم صبغة البشر المخلوق، الذي تتنازعه الطاقات والقوى المودعة فيه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ ﴾ [الكهف: ١١٠]، فوجود النسيان والسهو من بعض الأنبياء لا يؤثر على مكانتهم الرفيعة ومنزلتهم العالية عند ربهم جل وعلا.

إن قراءة متأنية لهذا النص القرآني تبين لنا أن شخصية موسى ﷺ وهو يخاطب فتاه، تواقة متحمسة، مصممة على نيل الهدف الذي رحل من أجله.

إن الهدف النبيل من رحلة موسى للقاء العبد هو طلب العلم الذي لا يعلمه موسى، لذا نتلمس هذه المعاني من خلال قوله تعالى: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾، هذا التصميم وهذا الحماس يحمل في طياته مشقة كبيرة للوصول إلى الهدف مهما بعد المكان أو طال الزمان، فلا بد من الوصل إلى الهدف، وهو لقاء العبد الصالح، وهذا من صفات موسى ﷺ، الإصرار على بلوغ الهدف النبيل رغم الصعوبات. والمتأمل حينما يقرأ القرآن وروعة التعبير عن هذا الإصرار يجده بأسلوب النفي (لا أبرح) وبالإثبات أيضا ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾، وحتى هنا بمعنى (إلا). فما أروع هذا التعبير، وكأني بكلمة التوحيد أمامي (لا إله إلا الله) نفي وإثبات.

ثم يتابع القرآن الكريم سرد القصة، وما حدث فيها من معجزة إحياء الحوت وانسلاله إلى البحر، وحصول بغيته من الرحلة وهي العثور على العبد الصالح في مكان الحوت الذي أضاعوه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾ [الكهف: ٦١ – ٦٤]، وهنا يشعر موسى بالراحة والطمأنينة وكأن النصب الذي لاقاه يتبدد وكأن الجوع يتلاشى، لحظة وجود اللقاء الذي طال انتظاره، ويحدثنا القرآن الكريم عن كل هذا الذي يتفاعل في نفس موسى ﷺ بكلمة موجزة ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِ﴾ حتى إن الياء حذفت من الفعل للتخفيف(٥٩) والاختصار، لتصور لنا ما يريده موسى من العجلة في السير، ثم تأتي الفاء لتكتمل هذه الصورة(٦٠) ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾.

ومن ثم نجد السياق القرآن يتجاهل اسم العبد ومكان وجوده وزمانه أيضا، إنها مشيئة الله تعالى، فليس لاسمه ومكانه مغزى من القصة، إنما الهدف لقيا موسى بالعبد الصالح، فقال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥]، ما أعظم هذا الوصف وهذه الصفات! العبودية، والرحمة، والعلم، وقد عطفت

الآية العلم على الرحمة: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ فرحمه الله بالعلم، ورحم به الآخرين أيضا، وإذا كان العلم مقترنا برحمة الله، كان علما نافعا بناء إيجابيا، وإذا خلا العلم من الرحمة كان علما مدمرا مخربا، وسببا في هلاك صاحبه وهلاك من حوله. وهذه هي الطبيعة السيئة للعلم المادي المعاصر الذي يتفاخر به الكثير من الناس في هذا الزمان[٦١].

وتبدأ القصة مع موسى الطالب المُجد والتلميذ المتواضع، إذ يقول: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]، سؤال لطيف بل في غاية التواضع فقد جاء بصيغة الاستفهام المفعم بالأدب في طلب التعلم من هذا العبد، من قبل النبي والرسول والكليم (موسى)، وفي هذا دليل على أن شخصية موسى عليه السلام الاندفاعية والانفعالية التي برزت في قصص أخرى، ومع قوتها وشدت حماستها إلا أنها رقيقة متواضعة ولينة في الخطاب، ويبدو أن هذه طبيعته إذ جاءت بتوجيه من الله تعالى حتى مع فرعون حينما دعاه إلى عبادة الله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، فكيف بالعبد الصالح، فلابد أن يلين الخطاب أكثر، وبخاصة أن العبد لديه علم من الله تعالى لا يعلمه موسى، إذن لينه في الخطاب كان صفة تقريرية في شخصية موسى عليه السلام.

لقد كان أسلوب موسى عليه السلام مع الخضر أسلوبا وديعا يعبر عن روح التواضع للعلم والعلماء من دون النظر الى طبيعة المركز الاجتماعي أو الديني الذي يقف فيه العالم والمتعلم، فنحن نجد الأدب الرسالي في هذه الكلمات الهادئة المتعطشة للعلم التي خاطب بها موسى هذا العبد الصالح[٦٢]، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.

ثم يتحول الخطاب من موسى اللطيف الرقيق إلى الأستاذ والمعلم العبد الصالح ورده على طلب موسى، بجواب حاسم وسريع، ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧]، هنا تبرز شخصية العبد بجملة من الصفات من خلال الحوار فهي شخصية واثقة مليئة باليقين بأن ما لديه من العلم لن يصبر عليه موسى مع ما كان من موسى من لين في الطلب، ولا يترك العبد هذا الجواب بلا تعليل حتى يطمئن موسى بسبب عدم الاستطاعة فقال وكأنه يعتذر له، ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨]، إنك يا موسى لا تعلم ما أعلمه مما علمني ربي، ومن ثم سنرى ذلك جليا في أعمال العبد الصالح الظاهرة التي

تستوجب الإنكار، وإن كانت تحمل في باطنها الرحمة.

ومع ذلك يبقى الحماس والتصميم المكون لشخصية موسى والطاغي عليه مسيطرا بل وثابتا في طلبه من العبد الصالح العلم، مع ما يواجه من حائط الصد القوي، فلم يثني عزم موسى في التعرف على هذا العلم الذي يجهله، ثم يلين الخطاب مرة أخرى ويعلن الطاعة والاتباع لهذا العبد وقبلهما الصبر على ما سيراه في رحلته العلمية فقال: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا ﴾ [الكهف: ٦٩]، هنا يبرز لنا ملمح آخر من هذه الشخصية، فمع أن شخصية موسى عليه السلام كانت انفعالية واندفاعية، ومع ما كان يظهر منه من عجلة في مناسبات أخرى، نجد موسى يعلن المصابرة والطاعة لهذا العبد في سبيل نيل الهدف، والذي يظهر لي أن هذه الرحلة أفادت موسى عليه السلام وأعطته الكثير من الدروس وبخاصة المبالغة في التحمل والطاعة لما سيلقاه مع العبد الصالح، ومن ثم سنرى تنازع الصفات الشخصية لموسى عليه السلام من خلال مسيره مع العبد الصالح وتعجله في الإنكار مع ما أعطى من عهود وما قطع على نفسه من شروط، إن هذا الحوار أضفى بل وزاد الكثير من الصفات لموسى عليه السلام، ستتضح في مناقلة الحوار بينه وبين العبد، ثم ختم الحوار قبل المسير بالشرط والعهد ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرًا ﴾ [الكهف: ٧٠].

وخلال هذا اللقاء القصير تدور محاورة بين العبد الصالح وبين موسى **عليه السلام** نلحظ فيها شخصية الرجل الصالح المملية للشروط، الواقفة موقف المعلم المربي، الواثقة من نفسها المتحدثة عن الحقائق الغيبية بما منحها الله تعالى من علم. في مقابل هذه الشخصية نلحظ شخصية موسى المتلهفة لطلب المعرفة، المتواضعة أشد دراجات التواضع، الحريصة على الظفر بالقبول عند الرجل الصالح(٦٣).

وينطلق موسى مع العبد في رحلة خفية تحمل بين ثناياها قسوة وغرابة لم يعهدها موسى من قبل، رحلة لا يعلم حالها إلا الله، ويأتي التعبير بالانطلاق(٦٤) بالفاء دلالة على مباشرة الرحلة على الفور والترتيب والتعقيب للأحداث التي حصلت معهما، قال تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا ﴾ [الكهف: ٧١]، ثلاث مرات مقترنة بكل حدث، دلالة على التتابع والاستمرار، ويصف لنا القرآن الكريم بأسلوب التشويق والإثارة عن هذه الرحلة المجهولة بقوله: ﴿ فَٱنطَلَقَا

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا﴾ [الكهف: ٧١]، حينما وصلا الى بحر وأرادا أن يركباه، أحسن عليهما أصحاب سفينة بحملهما، وإذا بالعبد يحدث خرقا في السفينة ويقابل المعروف والإحسان بالإساءة، وهنا يفاجئ موسى بهذا العمل وتتنازع غرائزه وصفاته، وينكر هذا الفعل على العبد وينسى عهده ووعده بالصبر والطاعة وعدم السؤال، فضلا عن الإنكار، فكان من موسى ما كان، رجع إلى بناءه الغريزي والذي يدعوه الى إنكار ما يراه من باطل وسوء، رجع إلى العجلة التي كانت من طبيعته، ونلمح هنا الانسجام التام بين موسى في هذا الموقف وبين موسى في موقفه من قومه، ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٣]، وقد قلنا فيما سبق أن هذه الرحلة كانت بمنزلة مدرسة للتعليم والصبر وعدم الاندفاع لموسى عليه السلام، قال موسى منكرا على العبد فعله: ﴿أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا﴾ [الكهف: ٧١]، ويأتي التذكير من المعلم على الفور ﴿أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٢]، لقد نكثت يا موسى بعهدك ووعدك بطاعتي وعدم معصيتي بل وعدم سؤالي عن أي شيء حتى أخبرك، ثم يؤب موسى إلى نفسه ويرد هذا الاستعجال الى النسيان، والذي يسامح عنه الإنسان بقوله: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٣]، وهذه صفة أخرى لموسى عليه السلام وهي العودة والرجوع على الفور بعدما أخطأ، كما حصل معه في وكزه للمصري وقتله عن غير قصد فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦]، فعفا عنه العبد وتابع مسيره، وهنا تبرز لنا صفة جميلة للعبد الصالح وهي الرحمة والمسامحة والعفو وقد ذكرها الله تعالى في أول القصة، قال تعالى: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ﴾ [الكهف: ٦٥]، وينطلقا إلى سير آخر وحدث أغرب من سابقه، وهذه المرة الحدث في البر وليس في البحر، قال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ﴾ [الكهف: ٧٤]، ما هذا الذي يفعله العبد يقتل غلاما لم يكد يبلغ الحلم إن هذا لفعل شنيع أعظم فظاعة وبشاعة من خرق السفينة، ومرة أخرى يعود موسى الى صفاته النفسية المنكرة لهذه الأعمال فظاهرها السوء، فقال: ﴿أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا﴾، هنا ماذا سيقول موسى هل نسي أيضا فلم يبرح وقتا حتى ينسى، ولكن هذه طبيعة موسى عليه السلام كما أسلفنا، ويأتي التنبيه والتذكير بزيادة كلمة (لك)، وكأنه عتاب لموسى بتكرار

إنكاره رغم ما عاهد عليه، فقال: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٧٥]، فلم يتحمل موسى بعد هذا الأمر فطلب الفراق مع أن العبد لم يطلب منه فراقه كما دل عليه السياق وإنما الذي طلبه موسى عليه السلام فقال: ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ [الكهف: ٧٦]، والسؤال لموسى عليه السلام أين صبرك وطاعتك للعبد الصالح؟ ألم تقطع على نفسك عهدا بعدم المعصية، والجواب أن هذا العلم اللدني لاتستطيعه ولن تدركه مهما حاولت، إنه علم من الله تعالى خص به عبدا من عباده، ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥]، وقد أوضح الله تعالى ذلك بقوله على لسان العبد: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٨]، ثم يتابعا المسير ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾ [الكهف: ٧٧]، هذا الحدث الثالث والأخير لهما، ينزلون قرية يبغون طعاما بعد رحلة شاقة فيأبى القوم أن يكرموهما ويضيفوهما، ثم يجدا جدارا وحائطا أوشك على السقوط فيعيد العبد بناءه، وهنا لم يواجه موسى العبد بالإنكار، لأن الموقف مختلف عن سابقيه، حتى أن السياق قد اختلف في هذا الموضع بعد حادثتين وتذكيرين، وكأن موسى وعى لما يقول وإن كان هذا الأمر لا يستوجب الإنكار كسابقيه وهذا ظاهر، قال ﴿ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف: ٧٧]، هنا يحدث الانفصال والفراق وتنتهي هذه الرحلة الشاقة والطويلة على نفس موسى عليه السلام، وكأني بالعبد الصالح يقول له ألم أخبرك بأنك لن تستطيع مع صبرا، ثم صممت على مرافقتي وشرطت عليك شرطا واحدا، أن لا تسألني عما ترى حتى أحدث لك منه ذكرا، ومع ذلك أخفقت مرتين، ومن ثم أنت طلبت فراقي لا أنا، فألبي رغبتك، ولكن لن أنهي هذا اللقاء بدون تأويل ما حدث وما لم تحتمله وما كان عليك شاقا وعسيرا، ثم يبدأ بتفسير ما حدث، وبذلك يكشف العبد الصالح لموسى شيئين في الوقت نفسه، الأول: أن علمه محدود، والثاني: أن كثيرا من المصائب التي تقع في الأرض ربما باطنها الرحمة، وهكذا يتناقض ظاهر الأمر وباطنه.

قال سيد قطب معقبا على اعتراضات موسى عليه السلام في الحوادث الثلاث: }لقد نسي موسى ما قاله هو وما قاله صاحبه، أمام هذا التصرف العجيب الذي لا مبرر له في نظر المنطق العقلي! والإنسان قد يتصور المعنى الكلي المجرد، ولكنه عند ما يصطدم بالتطبيق العملي لهذا المعنى والنموذج الواقعي منه يستشعر له وقعا غير التصور النظري. فالتجربة

العملية ذات طعم آخر غير التصور المجرد. وها هو ذا موسى الذي نبه من قبل إلى أنه لا يستطيع صبرا على ما لم يحط به خبرا، فاعتزم الصبر واستعان بالمشيئة وبذل الوعد وقبل الشرط. ها هو ذا يصطدم بالتجربة العملية لتصرفات هذا الرجل فيندفع مستنكرا﴿[٦٥].

ورغم وجاهة التعليل الذي ذكره سيد قطب رحمه الله ومطابقته للحادثة الأولى، فان المفاجأة تفقد صدمتها عندما تتكرر وخاصة عند التذكير بالوعد المرة تلو المرة كما إن التجربة تكسب الخبرة فلا يتماشى هذا التعليل مع الحادثة الثانية والثالثة ولئن كانت الأولى نسيانا واندهاشا بهول الحادثة فقد كانت الثانية عمدا والثالثة رغبة في الفراق.

ولعل المسوغ المنطقي الذي استمسك به موسى والدافع الشرعي الذي منعه من السكوت على ما يشاهده أمامه، هو مخالفة الحوادث لشريعة التوراة، ولو لم يقف هذا الموقف لكان مؤاخذا بموجب الشريعة.

وقد فطن البقاعي لذلك إذ يقول: ﴾فكل منهما- موسى والعبد الصالح- صادق فيما قال، موف بحسب ما عنده، أما موسى عليه السلام فلأنه ما خطر له قط أن يعاهد على أن لا ينهى عما يعتقده منكراً، وأما الخضر فإنه عقد على ما في نفس الأمر لأنه لا يقدم على منكر﴿[٦٦].

قال سيد قطب: وفي دهشة السر المكشوف والستر المرفوع يختفي الرجل من السياق كما بدا. لقد بدت للأذهان الدهشة بعد أن تصحو أن تسأل: من هذا؟ ولكنها لن تتلقى جوابا. لقد مضى في المجهول كما خرج من المجهول، فالقصة تمثل الحكمة الكبرى، وهذه الحكمة لا تكشف عن نفسها إلا بمقدار، ثم تبقى مغيبة في علم الله وراء الأستار[٦٧].

نعود لنقول: إن محور القصة يدور على ثلاثة أمور وهي ﴾خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار﴿، وقد ذكرت لنا بعض المصادر[٦٨] أن شبيه هذه الأشياء قد حصل لموسى عليه السلام من قبل في حياته، فخرق السفينة بقصد نجاة أهلها يقابله إلقاء أمه له وهو رضيع في البحر فأنجاه الله تعالى من حدث ظاهره الهلاك قطعا رضيع في عرض البحر، لا يملك حولا ولا قوة، ثم نأتي إلى الحدث الثاني وهو قتل الغلام بغير حق، يقابله قتل موسى للمصري عندما استغاثه الذي من شيعته، وأخيرا بناء الجدار من غير أجر يقابله سقيه لغنم ابنتي شعيب عليه السلام بدون أجر أيضا، وقد جاءت بالترتيب نفسه في سورة القصص، حيث قال سبحانه: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ... إلخ ﴾ [القصص: ٧] وقال: ﴿ وَدَخَلَ

﴿ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ... إلخ ﴾ [القصص: ١٥]، وقال: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ... إلخ ﴾ [القصص: ٢٣، ٢٤]، فترتيب الأحداث هنا كترتيب الأحداث هناك.

والجواب على هذا أن نقول: إن هناك فرقا كبيرا بين ما حدث لموسى في حياته وما حدث معه في رحلته مع العبد الصالح، فالأمر الأول، وهو إلقاءه في اليم لم يكن بعلمه ولا بفعله ولا بأمره، إ نما حدث بإلهام من الله تعالى لأمه مع تطمين كبير لحفظه، فقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧] فانظر إلى ثنائية المقابلة، أمرين (أرضعيه، وألقيه)، وثنائية النهيين (لا تخافي، ولا تحزني)، وثنائية البشارتين (إنا رادوه إليك، وجاعلوه من المرسلين)، أي أسلوب هذا أي إعجاز هذا أي بيان هذا، إنه القرآن العظيم، وأي تطمين بعد هذا، فالناظر إلى السياق بدقة وروية يلحظ الفرق الكبير بين المقامين.

وأما الأمر الثاني وهو قتل المصري حينما دخل المدينة ووجد فيها رجلين يقتتلان، وبعد طلب الغوث لم يكن من موسى عليه السلام إلا الاستجابة بنجدة أخيه الذي من شيعته، فوكزه موسى فقضى عليه، وهذا القتل لم يكن عن قصد وإصرار وإنما مجرد الوكز وهو الدفع بجمع اليد(٦٩)، على عكس ما حصل للغلام مع العبد فقد قتل غلاما صبيا لم يكد يبلغ الحلم بدم بارد عن سبق إصرار، ولم يلتفت إليه. والفرق كبير والبون واسع في مقارنة ما حصل في كلا المقامين.

وأما بناء الجدار بدون مقابل أجر مع مقابلة أهل القرية بالسوء إذ طلبا طعاما لنفسيهما فأبى أهلها أن يضيفوهما، يختلف عن ما حصل لموسى مع ابنتي شعيب وهو سقي الغنم لامرأتين، كانتا تذودان لجملة أسباب منها أنهما امرأتين وثانيهما خشية الرجال، فالموقف مختلف إذا لم يطلب موسى منهما إحسانا فامتنعا، وبعدها يقابل الإساءة بالإحسان، إنما مروءته وشيمته دفعته إلى معونة هاتين المرأتين الضعيفتين المحتشمتين، وما أروع السياق إذ يحكي هذه المحاورة المفعمة بالأدب الرفيع من قبل البنتين، حينما يسألهما ما خطبكما، فيخبرانه بخطاب ملؤه الحياء ويحمل في طياته ضعفهما ولا يوجد من يعينهما من الرجال حتى اضطررن للخروج لسقي الغنم والعلة الأب الشيخ الكبير، وما أجمل هذا النظم القرآني إذ يقول: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ

ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴾ [القصص: ٢٣]، مما تقدم يظهر لنا الفرق بين كل من الحوادث الثلاث، وهذا ظاهر.

ومما تقدم نستطيع أن نجمل ونحدد الصفات النفسية التي كان يتمتع بها موسى عليه السلام والعبد الصالح فيما يلي:

أ. الرغبة الجانحة لبلوغ الهدف بالمصابرة والمكابدة مع صعوبة الطريق.

ب. الحماسة والتصميم على طلب العلم والمعرفة مهما كانت الصعوبات (مكانية، أو زمانية).

ج. الأوب والرجوع بعد معرفة الخطأ بسرعة كبيرة، وهذا واضح وجلي في هذه القصة وفي غيرها أيضا.

د. الانفعال والاندفاع كان من أهم ما يميز شخصية موسى عليه السلام وهو ظاهر من خلال حواره مع العبد الصالح في إنكاره لما رآه من حوادث، فموقفه من تصرفات الرجل الصالح كان من أثر التكوين الشخصي لنفس موسى عليه السلام، وحدة مزاجه، فلا يستطيع إلا أن يقول ما يعتقده الحق مهما كانت الظروف، فهو يغضب للحق لأول وهلة يراها }خرق السفينة لتغرق أهلها، وقتل الغلام بغير حق، وبناء الجدار بدون أجر مقابل إساءة أهل القرية لهما. فالشخصية الاندفاعية كانت تتملك موسى من قبل، حينما وكز المصري فقضى عليه، وأما الشخصية الانفعالية فظهرت عليه لما علم أن قومه عبدوا العجل من بعده، وحينما رجع غضب وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه{.

هـ. شخصية موسى مليئة بالتواضع والعطف حتى مع العبد- فتاه- وقد اتضح ذلك من خلال الخطاب بصيغة الجمع (آتنا غدائنا، لقينا من سفرنا، أوينا إلى الصخرة)، وهذا ظاهر في شخصية موسى التي قابلت أعتى طاغية في زمانه (فرعون)، شخصية متواضعة مقابل شخصية متكبرة.

أما شخصية العبد فتتمتع بصفات نفسية أيضا وهي كما يأتي:

أ. العبودية، فقد أضاف الله تعالى تشريفا لهذا العبد صفة العبودية التي لم تقرن بالله تعالى إلا لنبي كرمه الله وشرفه بقوله: ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ﴾، وهي مقابلة لعبودية محمد ﷺ لما قرنها الله به في أول سورة الإسراء ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾. فأي صفة يحملها هذا العبد.

ب. الرحمة، انسجمت الرحمة وكانت صفة ثابتة فيها من خلال الحوادث التي وقعت له،

وبعد تأويلها يتضح ذلك جليلا، ابتداء من نجاة أهل السفينة من حكم الظالم المستبد، وصولا بحفظ الوالدين من الفتنة في ولدهما وإبدالهما بخير منه ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ وانتهاء ببناء الجدار رحمة باليتيمين.

ج. كانت شخصية الخضر حاسمة وجدية لا تترك خطأ بدون التنبيه عليه أو التذكير به.

د. تتمتع شخصية العبد الصالح بإملاء الشروط وهذا يعود إلى المعرفة والعلم الذي يمتاز به.

ومما تقدم يتبين لنا أن القصة اعتمدت في عرض أحداثها المتلاحقة والمتشابهة على طريقة الحوار، وكان عنصر الحوار الجذاب المفصح عن المشاعر والخلجات هو الغالب.

ومما تجد الإشارة إليه ونحن بصدد التحليل النفسي لهاتين الشخصيتين الفذتين أن نذكر بعض اللمسات البيانية التي أثرت الحوار ومناقلته بين موسى والعبد مما أضفى عليه جمالا وتأنقا لا نظير له.

فعندما فسر العبد لموسى الحوادث الثلاث، ذكر في الأولى وهي خرق السفينة ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ ونسب العيب لنفسه، وهذا دليل على ما يتمتع به العبد من إيمان راسخ بالله فلا بنسب العيب لله تعالى تأدبا مع الله عز وجل وإن كان بتقديره سبحانه.

وعندما ذكر الحادثة الثانية قالها بصيغة الجمع وقدم نفسه قائلا: ﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ فعبر بهذه الصيغة لأنه من فعل القتل وهي في علم الله تعالى المسبق، وحينما أراد الخير في قتل الغلام نسبه الى الله فقال: ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا ﴾ وأضاف ربه سبحانه وتعالى.

وأما الثالثة فكلها خير محض وظاهر فقال: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا ﴾ رحمة باليتيمين. فالذي يقرأ القرآن بقلب خاشع يتضح ذلك من خلال هذه المناقلة العجيبة، والتي تؤكد لنا صفات العبد التقريرية التي مرت آنفا.

ويلحظ أمر آخر وهو ذكر كلمة (القرية)، مقرونة بالإساءة وعدم الإحسان، بينما نجده ينقل هذه الكلمة الى أخرى (المدينة)، مختلفة عند بيانه وتأويله للأحداث التي حصلت مع موسى. انظر لقوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا

﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف: ٧٧]، ثم عند تفسير ذلك قال: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٨٢]، وقد بحثت في كتب التفسير ولم أجد جوابا شافيا فقد اتفقوا على إن المدينة هي القرية، والقرية هي المدينة. وهذا كلام غير دقيق، لأنه لا ترادف في ألفاظ القرآن الكريم، وحتما أراد من خلال هذه المناقلة مغزى آخر أو معنى آخر، والذي أراه والله تعالى أعلم، أن لفظ القرية في القرآن الكريم قرن بالهلاك والعذاب غالبا قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ [محمد: ١٣]، وقوله: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨]، وقوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣١]، وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وغيرها كثير، وكأن هذه القرية التي أبت أن تطعم الجائع، قرية بخيلة قاسية ظالمة. ولما ذكر العبد الصالح جواب عمله في بناء الجدار ذكر المدينة، وكأن ضياع الحقوق هو أكثر في المدينة حيث الزحام وكثرة الناس فلا يعرف أحد أحدا، وربما هناك تأويل ثان، وهو أن الكنز والجدار كانا في القرية، والغلامين يسكنان في المدينة قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [الكهف: ٨٢]، والله تعالى أعلم.

وأخير تحول الخطاب من قبل الخضر وعدوله من لفظة الى أخرى جاء بأسلوب بياني بديع، فلما فارق العبد موسى قال: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾ ولما وضح له ما حدث حذف التاء فقال ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ وكأن العبد الصالح شعر في خطابه بضيق صدر موسى عليه السلام وشدة هذه الأحداث المتوالية عليه كالصواعق فزاد (التاء)، ولكن بعدما ذهبت الغشاوة عن هذه الأعمال واتضح المغزى سهل على موسى تقبل الأمر فحذف التاء للتخفيف على موسى والله تعالى أعلم.

المبحث الخامس
شخصية الكافرين

بعدما تحدثنا في المبحث السابق عن شخصية مؤمنة وذكرنا صفاتها الغريزية والفطرية وميولها السلوكية وما كان لهذه الميول من أثر على بناء الشخصية من جهة وعلى حركة القصة من جهة أخرى، سنتناول في هذا المبحث شخصية متباينة تماما عن الأولى في تركيبها وتوصيفها؛ إذ نتحدث عن شخصية كافرة تلبست بثوب الغرور وتمثلت الطغيان وإظهار الفخر والسرور، فنحلل هذه الشخصية ونتعرف على بناءها وكيف كان لهذا البناء من أثر على تحولات الخطاب من خلال مناقلة الحوار وما نتج عنه من سلوك وميول، على أن ذلك لا يعني أن الكافر لا يؤمن فربما يعود عن غيه ويؤمن بالله تعالى وفي ذلك رجوع إلى الفطرة التي خلق الله تعالى عليها البشر وهي كما قال ﷺ: }**ما من مولود إلا ويولد على الفطرة**ِ{[٧٠].

وقد تحدث القرآن الكريم عن شخصية كافرة جاحدة في سورة مليئة بالقصص القرآني حتى سميت سورة القصص، ولعل هذه القصة هي خاتمة السورة وهي قصة (قارون)، وما كان عليه من فساد وطغيان.

}وعجيب التعبير القرآني في إيجازه وإيحائه وكم هو مدهش القول الكريم كان من قوم موسى فمعلوم إن العرق ملازم فان تكون عربيا أو إسرائيليا كما تكون اسمر أو ابيض أو اسود، إنها صفة ثابتة فما معنى كان من قوم موسى في ضوء ما قيل؟ يفسره ما جاء بعده فبغى عليهم لقد كان منهم لكنه خرج عليهم وانشق عنهم واستكبر على شعبه وحقر جماعته والتحق بقوى الاستكبار واستصغر شان أمته فقاده الى الانضمام الى عدو أمته الذي يراه ظاهرا قاهراِ{[٧١].

لقد بدأت القصة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٧٦]، فأكد الله تعالى بـ(إنَّ)، على أن قارون من قوم موسى، وفي هذا دلالة على صلة القرابة بينه وبين موسى فلم يقل من بني إسرائيل إنما وصله بموسى، والقرآن الكريم لم يذكر لنا زمن قارون ومكانه كعادته فهو يركز على الأحداث والوقائع لا الأزمان ولا الأمكنة.

وصف الله تعالى قارون في بداية القصة أنه من قوم موسى مما يعني أنه ربما كان مؤمنا معهم، ولكن لأسباب معينة بغى عليهم، وهذه أيضا إشارة سريعة عن جزء من شخصية قارون وهي (البغي)، وقدم الله تعالى صفة البغي بجملة معترضة (فبغى عليهم)[٧٢]، وكأنه يريد أن يعطينا الوصف الثابت والميل السلوكي الراسخ في هذه الشخصية

وهي البغي والعدوان والظلم.

}ولعل في نسبته إلى موسى وإلحاقه بقومه وإضافته إليهم فيه إظهار شناعة فعله، وسوء طبعه؛ إذ هو بعد انتمائه إلى قوم أخيار، وحلوله بينهم لكنه تنكر لهذه البيئة، وتفلت من هذا الجو، مع أن من نزل منازل الأتقياء حري أن يكتسب سجاياهم، ويتطبع بأخلاقهم، لكن لما كان لتلك الشخصية مزيد فجور، وفساد معدن، ورداءة طبع، لم يحمله ذلك الانتماء الزكي على التخلي عن طبائع النفس الشريرة، والابتعاد عن مكنونات النفس الأمارة، وفي ذلك مزيد تشنيع على قارون بانحرافه عن طريق الهدى الذي كان أقرب إليه من غيره، ففي إضافة النفس إلى قوم ظاهر صلاحهم، بين شرفهم، عال قدرهم ومقامهم، ضربُ من التكريم إن كان المضاف ملتحقا بركبهم، متصفا بسجاياهم، وبضدها تقبيح وتشنيع وتنكيل، فمن نزل ديار خير ولم ينل منها طرفا، حق أن يلحق العار بثوبه، ووصف الفجور بنعته{.

ولم يحدثنا القرآن الكريم عن سبب البغي الذي آل إليه قارون، ولكن القارئ المتأمل للقصة يعلم أن سبب البغي ومرجع الطغيان هو كثرة المال وسعة الكنوز، وهو مدار القصة.

وذكر الله تعالى قارون في أكثر من موضع من القرآن الكريم، فورد اسمه في سورة العنكبوت وسورة غافر وسرد قصته سردا كاملا في سورة القصص، ولزاما أن يكون في هذا السرد نكتة، ومناسبة وفائدة فإنه سبحانه لما ذكر في افتتاحية السورة رمز الطغيان السياسي والعسكري وهو فرعون ختم السورة برمز الطغيان الاقتصادي والمالي وهو فرعون، فهناك أوجه شبه بين شخصية فرعون وشخصية قارون فكلاهما باغٍ وكلاهما متكبر.

لقد استطاع قارون من خلال بعض الظروف أن يجمع ثروة عظمى ويستغلها للضغط على الفقراء والمستضعفين ويستعلي عليهم كما فعل فرعون ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ [القصص: ٤]، إذا من صفات قارون الاستعلاء والتكبر ويبدو أن هذا متجذر في بناء شخصيته حتى أصبح سلوكا ملتصقا به.

إن الذي يقرأ القصة بتدبر يرى أن وصف ما كان عليه قارون هو الغالب على القصة ومن ثم النصح من أهل الوعظ والإرشاد من قومه وهم يتحدثون معه، فلم ينطق قارون أو يتكلم إلا في موضع واحد وهو قوله: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص: ٧٨]، والباقي وصف لحاله وحال المغرورين به وحال أهل العلم والإيمان من قومه، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن حاله وما كان عليه من تكبر وتبختر في أمواله وزينه على

قومه لا يحتاج إلى كلام فهو لسان ناطق.

فنقرأ الوصف الثاني لقارون: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ [القصص: ٧٦]، دلالة على عظم هذه الثورة والمشتملة على الكنوز من الذهب والفضة وغيرهما، فقد كانت هذه الأموال سبب فساده وبغيه. فإن طبيعة النفس البشرية حب الدنيا والمال والثروة ولو كان مع ابن ادم وادٍ من ذهب لتمنى الأخر وهكذا ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر: ٢٠]، إلا أن الإسلام والدين هذب هذه الطبيعة ونقاها كي لا تكون غاية الإنسان في حياته إنما تسخير هذه الثروات في إقامة خلافة الله تعالى وتعاليمه في الأرض وإلا تكون وبالا على صاحبها. وكانت شخصية قارون ونفسيته مريضة بحب المال وترى إنها عنوان السيطرة والتبعية والتفرد بالسلطان فطاعت نفسه لهذه الأموال حتى دعته الى إنكار من رزقه إياها وهو الله تعالى فقال: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾.

إن تنوع الخطاب في هذه القصة القصيرة ليدلل على عظم ما فيها من عظات وعبر للإنسان المسلم. فنرى خطاب قومه الوعظي في أوائل هذه القصة تحذير بأسلوب النهي وحث بأسلوب الأمر، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٦- ٧٧].

قال الباقلاني: }وهي خمس كلمات متباعدة في المواقع نائية المطارح قد جعلها النظم البديع أشد تألفا من الشيء المؤتلف في الأصل وأحسن توافقا من المتطابق في أول الوضع{[٧٣].

وربما كان ذلك في أن أردف الجملة الأولى التي هي حض على ابتغاء آخرته فيما رزقه الله، بالجملة الثانية التي هي نهي عن المبالغة في ذلك وأن يحرم نفسه حظها من الدنيا، والإشارة إلى أن الأمر الإلهي هو في الوسط بين طرفي الدنيا والآخرة وكأن قوله: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٧٧]. هو الطرف المقابل الذي يحد من الطلب الأول وعلى هذا تكون الجملة الثانية مع أنها في الظاهر تطلب العكس والنهي طلب الكف إلا أنها مكملة لها وجزء معناها ثم يجيء قوله في الثالثة: ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾

[القصص: ٧٧]، مع قوله ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٧٧]، ليكونا معا حقيقة واحدة وهي الإحسان النائي عن ابتغاء الفساد في الأرض والرافض له ثم تعطف هذه الحقيقة بوجهيها هذين الإحسان والنهي عن الفساد على الحقيقة السابقة بوجهيها ابتغاء الآخرة وعدم نسيان حظه من الدنيا(٧٤).

قال سيد قطب عند الحديث عن قصة قارون: }هكذا تبدأ القصة فتعين اسم بطلها (قارون) وتحدد قومه (قَوْمِ مُوسى) وتقرر مسلكه مع قومه، وهو مسلك البغي (فَبَغى عَلَيْهِمْ) وتشير إلى سبب هذا البغي وهو الثراء. ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾.

ثم تمضي بعد ذلك في استعراض الأحداث والأقوال والانفعالات التي صاحبتها في النفوس{(٧٥).

إن النهج القويم الذي يجب على الإنسان أن يسلكه هو ما قاله الناصحون لقارون إذ أوصوه بخمسة أمور، الأول: لا تفرح، والثاني وابتغي فيما آتاك الدار الآخرة، والثالث: ولا تنس نصيبك من الدنيا، والرابع: وأحسن، والخامس: ولا تبغ الفساد.

لقد كان في قومه عقلاء لم يسقطوا أمام ثروته انكسارا وطمعا ولم يركنوا إلى طغيانه ذلا وخضوعا، ولم يروا فيها كرامة له وفضلا بل كانوا يرون أنه استغل هذه الثروة لتضخيم شخصيته بالاستعلاء على الناس، فأرادوا له النصيحة بأن يحرك ثروته بالخير فقالوا له: (لا تفرح...) فانظر الى هذه الصفة: الفرح ويقصد به البطر المذموم، أي لا تبطر وتشعر بضخامة نفسك. والفساد وهو نتيجة الفرح والبطر والتكبر والذي ينتهي بصاحبه إلى الخسف. كما حدث مع قارون. هذه صفات يجب تجنبها حتى تصفو نفس الإنسان وتتطهر من علائق الدنيا الفانية وتسمو برفعة وكمال. والصفات الأخرى والبديلة لهذه الصفات السيئة هي ابتغاء الدار الآخرة فهي مستقر الإنسان وخلده ففيها نعيمه وسعادته، ومع ذلك جاء النصح والاعتدال والقوامة في الموازنة بين الدنيا والآخرة، ولا ينس نصيبه من هذه الدنيا والذي يتقوى فيه على طاعة الله تعالى، ومن ثم يأتي الإحسان إلى الناس وهي صفة حميدة يجب أن تكون مطبوعة في شخصية الإنسان لأن المحسن الأول هو الله تعالى، وقد أشارت القصة إلى ذلك قال تعالى ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص: ٧٧].

فكان رد قارون بجملة واحدة تحمل شتى معاني الفساد ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ﴾ لقد أنساه غروره مصدر هذه النعمة وحكمتها، وفتنه المال وأعماه الثراء فلم يستمع قارون لنداء قومه ولم يشعر بنعمة ربه.

وخرج قارون على قومه بكامل زينته ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ [القصص: ٧٩]، وهذه صفة المتكبرين والمتبخترين، فطار قلوب بعض القوم وتمنوا أن لديهم مثل ما أوتي قارون وأحسوا انه في نعمة كبيرة ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص: ٧٩]، وهذا حال أهل الدنيا في كل زمان ومكان منكبين على حطامها، طامعين بزخرفها.

وتتابع حركة القصة سريعة برد أهل الإيمان على أهل الدنيا ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص: ٨٠]، وعندما تبلغ فتنة الزينة ذروتها وتتهافت النفوس أمامها وتتهاوى لأجلها تتدخل القدرة الإلهية لتضع حدا للفتنة وتحطم الغرور والكبرياء فيأتي العقاب حاسما ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ [القصص: ٨١]، هكذا في لمحة خاطفة ابتلعته الأرض وابتلعت داره، وذهب ضعيفا عاجزا لا ينصره أحد، ولا يعينه جاه ولا يسعفه مال.

وخلاصة ما تقدم فإن شخصية قارون تتصف بأربعة أمور:

الأول: الظلم: قال تعالى:﴿ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [القصص: ٧٦]. فهو المُتيّم بالمال، والصبّ بجمعه لا يهتم إلا بما يزيد هذا المال دون مبالاة بظلم مؤلم أو بغي مؤذٍ، ولذلك ألهته أمواله وكنوزه عن شكر المنعم، بل وحرفته عن الاعتراف بفضل الله تعالى(٧٦).

والثاني: الفرح: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ﴾ [القصص: ٧٦]، ويبدو أنه قد لازمه حتى صار خُلقاً له، فبلغ الحد الذي يُنسي المنعم بالمال(٧٧).

والثالث: الإقبال الكلي على الدنيا وحدها، وهذا ما يستنبط بمفهوم المخالفة من قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [القصص: ٧٧].

والرابع: وهو الفساد في الأرض: ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٧٧]، وكلمة الفساد ينضوي تحت راياتها شرور شتى، وخبائث عدة؛ لأن القارونية لا مكان في

معجمها المادي للأخلاق، بل لا ترى بأساً أن يكون في مقتل الأخلاق دخل مدار الربح كما في عوائد الربا والفوائد كما في دخول الميسر والخمر.

وهذه الصفات السابقة هي نتيجة حتمية لرأسمالية قارون التي تدين بالحتمية المادية التي تجحد قدرة الله في الإعطاء والمنع، والفقر والغنى، وترد ذلك إلى سلطان العقل وثمرة العمل، فقال: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾ [القصص: ٧٨]، فتكبر بالعلم وتعظم به، فكانت نتيجته الخسف ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ [القصص: ٨١]، فعقوبة الخسف مناسبة لسخف المعتقد[٧٨].

إن قصة قارون تمثل آثارا إيمانية وتربوية في جانب الطغيان بالمال والغرور بالعلم، وكيف مآلها إلى الغذاء إذا تسلطت الأهواء، وسيطرت الأطماع، وتحول الإنسان من مجرد مخلوق من مخلوقات الله تعالى إلى متجبر متكبر يعلو بنفسه فوق الناس، ويزهو ويتعالى عليهم، وينظر إليهم بمنظار الاستعلاء والاستكبار، فهذه القصة وردت على سبيل العظة والعبرة لإثبات أن كل شيء مآله إلى زوال وأن الباقي هو وجه الله ذو الجلال والإكرام[٧٩].

الهوامش

(١) ينظر: في ظلال القران: سيد قطب إبراهيم، دار الشروق، القاهرة، ١/٢٩٨.

(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار: أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي، تحقيق: السيد محمد يوسف، مراجعة: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٧- ١٩٧٨، ص١٠٧.

(٣) القصص القرآني: عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ص٤٤.

(٤) الفن القصصي: محمد أحمد خلف الله، مكتبة النهضة، ص٧٨. وينظر: دراسة لأسلوب القصص القرآني: يوسف ﷺ انموذجا، علي الطاهر عبد السلام، ص٣ وما بعدها.

(٥) الوحدة الفنية في القصة القرآنية: محمد دالي، مون للطباعة والتجليد، ٢٠٠١، ط١، ص١١.

(٦) المرجع نفسه، ص١١.

(٧) الجانب الفني في القصة القرآنية: خالد أحمد أبو جندي، ص١٢٩.

(٨) قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح: أحمد موسى سالم، بيروت، دار الجيل، ص٢١١.

(٩) المرجع نفسه، ص٢١٢.

(١٠) يوسف في القرآن: أحمد ماهر، الإسكندرية، ١٩٧١م، ص٩.

(١١) القرآن الكريم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين: محمد الصادق عرجون، ص٣٧.

(١٢) القرآن نظرة عصرية جديدة: عبد المنعم الجداوي، القاهرة، ص٦٠.

(١٣) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ٣/٣٢٢.

(١٤) بحوث في قصص القرآن: عبد الحافظ عبد ربه، دار الكتاب اللبناني، ص٨٩.

(١٥) الفن القصصي في القرآن، ص٢٠٠.

(١٦) روح الدين الإسلامي، ص١٥٩.

(١٧) دروس وعظات وعبر في قصة يوسف ﷺ: عبد الرحمن عبد القادر المعلمي، الإسكندرية، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، دار القمة لتوزيع الكتاب، ط١، ٢٠٠٣، ص٦.

(١٨) علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه: عدنان محمد زرزور، دار الأعلام، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص١٦١.

(١٩) الوحدة الفنية في القصة القرآنية: محمد دالي، ط٢٠٠١، ص١٥.

(٢٠) المرجع السابق، ص١٨.

(٢١) الجانب الفني في القصة القرآنية: خالد أحمد أبو جندي، ص١٣٢.

(٢٢) الوحدة الفنية في القصة القرآنية: محمد دالي، ص٢.

(٢٣) المرجع نفسه، ص٦٦.

(٢٤) الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ص٦٩.

(٢٥) سيكولوجية القصة في القرآن الكريم: التهامي نقرة، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٤م، ص٠٧

(٢٦) القصة القرآنية: رضوان فتحي، القاهرة، دار الهلال، ١٩٧٨م، ص١٢.

(٢٧) المرجع السابق، ص٨.

(٢٨) القصة القرآنية: رضوان فتحي، ص٢٤.

(٢٩) القرآن الكريم والدراسات الأدبية: نور الدين عتر، ص٢٢٢.

(٣٠) لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت،

ط١، ٧/٤٥، مادة: شخص.

(٣١) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، القاهرة، دار الهداية، ١٨/١٠، مادة: شخص.

(٣٢) ينظر: الشخصية في قصص الأمثال العربية دراسة في الأنساق الثقافية للشخصية العربية: ناصر الحجيلان، طبع المركز الثقافي العربي- النادي الأدبي، ٢٠٠٩م، ص٣ وما بعدها، والموسوعة الفلسفية: روزنفال ويودين (إشراف)، ترجمة: سمير كرم، (بيروت: دار الطليعة، ط٢، ١٩٨٠)، مادة شخص. وانظر تاريخ المصطلح في:

C. S. Carver, & M. F. Scheier. *Perspectives on Personality*, (Boston: Allyn and Bacon, 4th ed, 2000), pp. 17-26.

(٣٣) الموسوعة الفلسفية: روزنفال ويودين، مادة شخص.

(٣٤) **D. Schultz, & S.E. Schultz. *Theories of Personality*, (CA: Brooks/Cole, 5th ed.,1994), p. 39.**

(٣٥) ينظر: دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية: علي عبد الرزاق جلبي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤م، ص٣٤٥.

(٣٦) النقد الاجتماعي- نحو علم اجتماع للنص الأدبي: بيير زيما، ترجمة: عايدة لطفي، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ١٩٩١م، ص٢٣. وانظر:

Pierre Zima. *Pour une sociologie du texte littéraire*, (Pans،Union générale d'Éditions, 1978), p. 26.

(٣٧) علم الاجتماع الأدبي: حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م، ص١١٩. وينظر: السوسيولوجيا والأدب: قصي الحسين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣م، ص٥٢.

(٣٨) **Pervin Tawrence. *Personality: Theory, Assess and Research*, (NY: John Wiley & Sons, 1970), p. 31.**

(٣٩) **Tawrence, *Personality*, p. 33.**.

(٤٠) ولعل من أهم التعريفات في المجموعات السابقة: الشخصية والمثير، والشخصية والاستجابة، والشخصية والمتغير سواء في المثير أم في الاستجابة، والشخصية والتنظيم المتكامل للعوامل. ينظر كلا من: لازاروس: ترجمة: سيد محمد غنيم، القاهرة، دار الشروق، ط٣، ١٩٨٩م، ص١٩٩، وأساليب دراسة الشخصية: فيصل عباس، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٠م، ص٥٣.

(٤١) التوجيه والإرشاد النفسي: حامد عبد السلام زهران، القاهرة، عالم الكتب، ط٢، ١٤٢٤هـ، ص٥٢-٥٤.

(٤٢) نظريات الإرشاد والعلاج النفسي: سعيد عزة وجودت عبد الهادي، مكتبة دار الثقافة، عمان، ط١، ١٩٩٩م، ص٩٥.

(٤٣) التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية- البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي: محمد عز الدين توفيق، دار السلام، مصر، ص١٥١- ١٥٨.

(٤٤) التأصيل الإسلامي، ص١٦٢- ١٦٩.

(٤٥) المرجع السابق، ص١٥١- ١٧٩.

(٤٦) سيكولوجية القصة في القرآن الكريم: نقرة التهامي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٩٧٤م، ص٣٦٧.

(٤٧) البنية السردية في القصص القرآني: محمد طول، ديوان المطبوعات الجامعية، تلمسان، الجزائر د.ط، ٢٠٠١م، ص ٥٧.

(٤٨) سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، ص٣٦٨-٣٦٩.

(٤٩) المرجع السابق، ص٣٦٦.

(٥٠) الصورة الفنية في القرآن الكريم: محمد طول، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تلمسان سنة ١٩٩٥م، ص١١٨.

(٥١) المرجع نفسه، ص١١٩.

(٥٢) الوحدة الفنية في القرآ: محمد دالي، ص١٧٣.

(٥٣) الصورة الفنية في القرآن الكريم: محمد طول، ص ١١٩.

(٥٤) في ظلال القرآن في الميزان: صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار الشهاب، الجزائر، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٦م، ص٣٨٩-٣٩٠

(٥٥) ينظر: المرجع السابق، ص٣٩١.

(٥٦) في ظلال القرآن: سيد قطب، ٧٤/٥.

(٥٧) صحيح البُخاري: أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط٣، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ٤١/١ برقم (٧٨).

(٥٨) سيكولوجية القصة في القرآن: التهامي نقرة، الدار التونسية للتوزيع، ١٩٧٤م، ص١٧٢.

(٥٩) ينظر: التفسير الكبير، المسمى (مفاتيح الغيب): فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠ م، ط١، ١٢٦/٢١.

(٦٠) ينظر: قصص القرآن الكريم: فضل حسن عباس، دار النفائس، عمان- الأردن، ط٣، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م، ص٦٠٨.

(٦١) ينظر: القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ٣١٣/٣.

(٦٢) ينظر: الحوار في القرآن الكريم: محمد حسين فضل الله، الدار الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٧٩م، ص٢٨٧.

(٦٣) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢٧١-٢٧٢.

(٦٤) ذكر الشيخ فضل عباس- رحمه الله- لطيفة بيانية، وهي: لم كان التعبير بقوله: (فانطلقا)، ولم يقل (مَشَيَا أو سَعَيَا)؟: إن هذه الكلمة لها مذاق خاص أو دلالة خاصة، ومن أراد أن يتذوق معنى هذه الكلمة فلينظر إلى نظيراتها في القرآن، ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ بعد أن قالوا ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾، ولقد كانت حديث أصحاب الجنتين ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ والذي يتدبر هذه الكلمة يجدها تدل على نوع من العناية والاهتمام، والهدف في السير، وهكذا كان شأنهما فإن كلا منهما يترقب ما سيكون من الآخر، موسى يترقب ما الذي يتعلمه من العبد الصالح، والعبد الصالح يترقب ما الذي سيكون من موسى عليه السلام أيستطيع أن يصبر؟ ينظر: قصص القرآن الكريم: فضل عباس، ص٦١٠.

(٦٥) في ظلال القرآن، ٢٢٧٦/٤.

(٦٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٤٩٣/٤.

(٦٧) ينظر: التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٥، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص١٨٥.

(٦٨) ذكره القرطبي والبقاعي، وابن عجيبة، وإسماعيل حقي، قال القرطبي: }وقيل في تفسير هذه الآيات التي وقعت لموسى مع الخضر: إنها حجة على موسى لا عجبا له. وذلك أنه

لما أنكر أمر خرق السفينة نودي: يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحا في اليم! فلما أنكر أمر الغلام قيل له: أين إنكارك هذا من وكزك القبطي وقضائك عليه! فلما أنكر إقامة الجدار نودي: أين هذا من رفعك حجر البئر لبنات شعيب دون أجر!ج. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ٣٣/١١، ونظم الدرر: للبقاعي، ٤٩٦/٤، وروح البيان في تفسير القرآن: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ٣٨٣/٥، والبحر المديد: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ١٨٥/٤.

(٦٩) ينظر: لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط١، ٤٣٠/٥، مادة (وكز).

(٧٠) صحيح البخاري، ٤٥٦/١ برقم (١٢٩٢).

(٧١) ينظر: تفسير سورة القصص- دراسة تحليلية موضوعية: أحمد نوفل، طبع جمعية المحافظة على القرآن، عمان، ط١، ٢٠٠٥م، ١٢٨-١٢٩.

(٧٢) التحرير والتنوير، ١٠٥/٢٠.

(٧٣) إعجاز القران: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ص١٩٤.

(٧٤) الإعجاز البلاغي- دراسة تحليلية لتراث أهل العلم: د.محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٢١٢.

(٧٥) في ظلال القرآن، ٢٧١٠/٥.

(٧٦) نظرات في أحسن القصص: محمد السيد الوكيل، دار القلم والدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ١٢٨/٢.

(٧٧) في ظلال القرآن، ٥٣٥٢/١.

(٧٨) المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى: علي بن نايف الشحود، ٣٨/٣.

(٧٩) دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: أحمد جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص٢٩٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أساليب دراسة الشخصية، فيصل عباس، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٠م.
٢. الإعجاز البلاغي- دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، د.محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٣. إعجاز القران، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة.
٤. الأنوار ومحاسن الأشعار، أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي، تحقيق: د.السيد محمد يوسف، مراجعة: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٧- ١٩٧٨م.
٥. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
٦. البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٧. بحوث في قصص القرآن، عبد الحافظ عبد ربه، دار الكتاب اللبناني.
٨. بناء الشخصية في القصة القرآنية، مصطفى عليان، دار البشير، عمان، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
٩. البنية السردية في القصص القرآني، محمد طول، ديوان المطبوعات الجامعية، تلمسان- الجزائر، د.ط، ٢٠٠١م.
١٠. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الزبيدي، القاهرة، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ.
١١. التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي، محمد عز الدين توفيق، دار السلام، مصر.
١٢. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
١٣. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٥، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
١٤. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٥. التفسير الكبير، المسمى (مفاتيح الغيب)، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٦. تفسير سورة القصص– دراسة تحليلية موضوعية، أحمد نوفل، طبع جمعية المحافظة على القرآن، عمان، ط١، ٢٠٠٥م.

١٧. التوجيه والإرشاد النفسي، حامد عبد السلام زهران، القاهرة، عالم الكتب، ط٢، ١٤٢٤هـ.

١٨. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

١٩. الجانب الفني في القصة القرآنية، خالد أحمد أبو جندي.

٢٠. الحوار في القرآن الكريم، محمد حسين فضل الله، الدار الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.

٢١. دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، أحمد جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٢. درسات في المجتمع والثقافة والشخصية، علي عبد الرزاق جلبي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤م.

٢٣. دروس وعظات وعبر في قصة يوسف ﵇، عبد الرحمن عبد القادر المعلمي، الإسكندرية، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، دار القمة لتوزيع الكتاب، ط١، ٢٠٠٣م.

٢٤. روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، دار إحياء التراث العربى، بيروت.

٢٥. روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، ط٣.

٢٦. السوسيولوجيا والأدب، قصي الحسين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣.

٢٧. سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقرة، الدار التونسية للتوزيع، ١٩٧٤م.

٢٨. الشخصية، لازاروس ترجمة: سيد محمد غنيم، القاهرة، دار الشروق، ط٣، ١٩٨٩م.

٢٩. صحيح البُخاري، أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣٠. الصورة الفنية في لقرآن الكريم، محمد طول، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تلمسان، ١٩٩٥م.
٣١. علم الاجتماع الأدبي، حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.
٣٢. علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، عدنان محمد زرزور، دار الأعلام، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٣٣. الفن القصصي، محمد أحمد خلف الله، مكتبة النهضة.
٣٤. في ظلال القرآن في الميزان، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار الشهاب، الجزائر، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٦م.
٣٥. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم، دار الشروق، مصر.
٣٦. القرآن نظرة عصرية جديدة، عبد المنعم الجداوي، القاهرة، د.ت.
٣٧. القرآن الكريم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، محمد الصادق عرجون.
٣٨. القرآن الكريم والدراسات الأدبية، نور الدين عتر، جامعة دمشق، ط١.
٣٩. القصة القرآنية، رضوان ، فتحي، القاهرة، دار الهلال، ١٩٧٨م.
٤٠. قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، دار النفائس، عمان، الأردن، ط٣، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م.
٤١. قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح، أحمد موسى سالم، دار الجيل، بيروت، د.ت.
٤٢. القصص القرآني، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي.
٤٣. القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
٤٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط١.
٤٥. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٤٦. المعجم المفصل في الأدب، محمد التويخي بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م.
٤٧. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار إحياء التراث، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م.

٤٨. المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى، علي بن نايف الشحود.
٤٩. الموسوعة الفلسفية، روزنفال ويودين (إشراف)، ترجمة: سمير كرم، بيروت، دار الطليعة، ط٢، ١٩٨٠م.
٥٠. نظرات في أحسن القصص، محمد السيد الوكيل، دار القلم والدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
٥١. نظريات الإرشاد والعلاج النفسي، سعيد عزة وجودت عبدالهادي، مكتبة دار الثقافة، عمان، ط١، ١٩٩٩م.
٥٢. نظريات الشخصية، كالفينول، وجاردنز ليندزي، ترجمة فرج أحمد فرج، وقدري محمود، ولطفي محمد فطيم، مراجعة لويس كامل مليكة، ط١، ١٩٧٩م.
٥٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
٥٤. النقد الاجتماعي، نحو علم اجتماع للنص الأدبي، بيير زيما، ترجمة: عايدة لطفي، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر، ١٩٩١م.
٥٥. الوحدة الفنية في القرآن، محمد دالي، مون للطباعة والتجليد، ط١، ٢٠٠٠.
٥٦. يوسف في القرآن، أحمد ماهر، الإسكندرية، ١٩٧١م.

الكتب العلمية والمجلات الاجنبية:

1- C. S. Carver, & M. F. Scheier. Perspectives on Personality, (Boston: Allyn and Bacon, 4th ed, 2000).
2- D. Schultz, & S.E. Schultz. Theories of Personality, (CA: Brooks/Cole, 5th ed., 1994).
3- Pervin Tawrence. Personality: Theory, Assess and Research, (NY: John Wiley & Sons, 1970).
4- Pierre Zima. Pour une sociologie du texte littéraire, (Pans,Union générale d'Éditions, 1978).